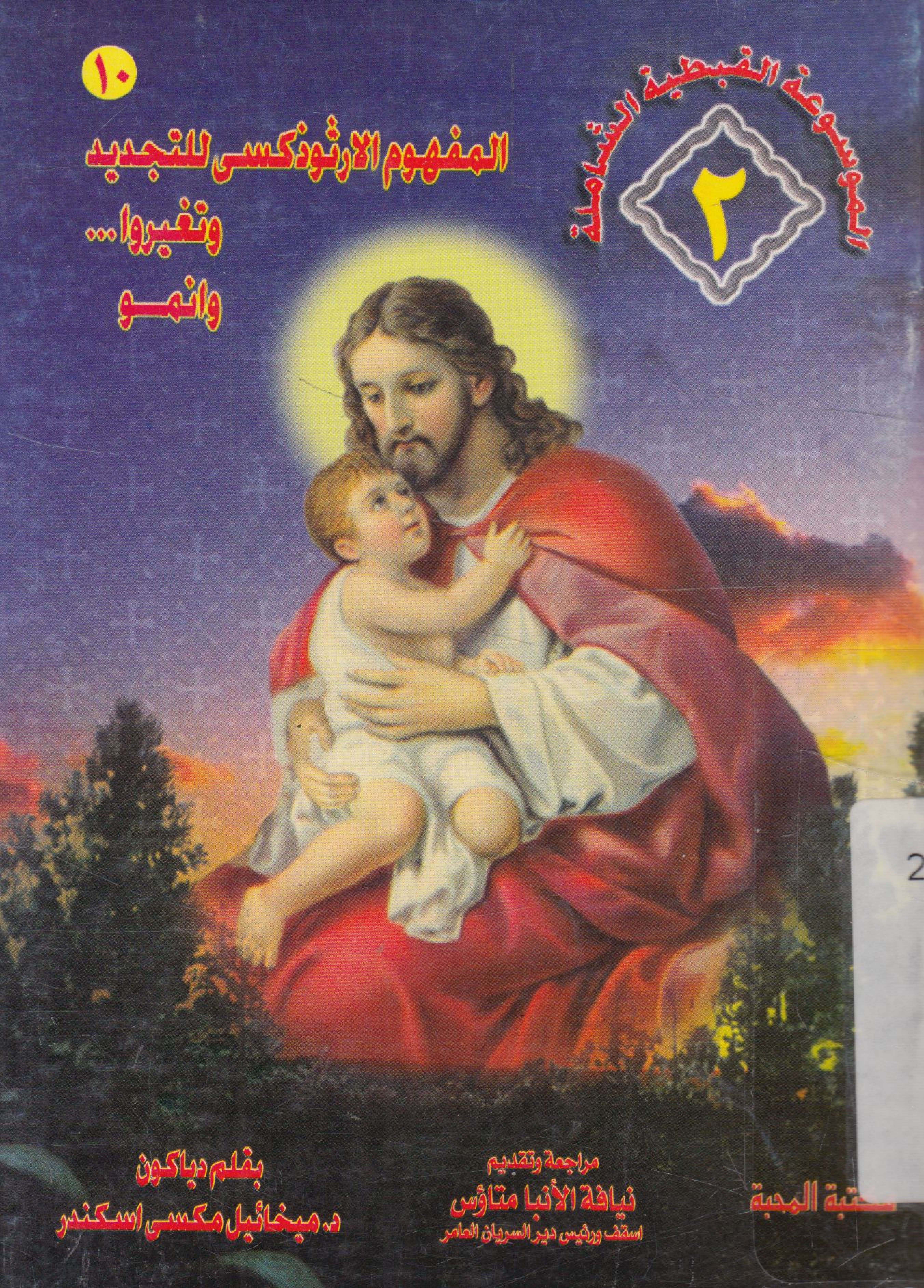


الموسوعة القبطية الشاملة
٢
١٠
المفهوم الارثوذكسى للتجديد
وتغيروا ...
وانمو
بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسى اسكندر
مراجعة وتقديم
نيافة الأنبا متاؤس
اسقف ورئيس دير السريان العامر
مكتبة المحبة

مكتبة المحبة

# + المفهوم الأرثوذكسي للتجديد
# + وتغيرّوا.... وانمـــوا

مراجعة وتقديم
نيافة الانبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

بقلم دياكون
د. ميخائيل مكسي اسكندر

طبع بشركة تريكرومى للطباعة
ت ٥٩٠٢٠٤٨ - فاكس ٥٨٩٦٦٥٥

رقم الإيداع بدار الكتب ١٥٩٩٧ / ١٩٩٨

---

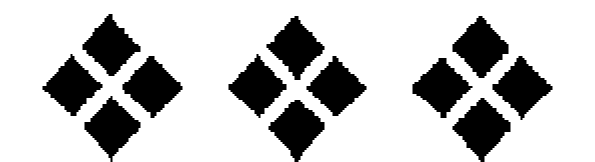
الترقيم الدولى I.S.B.N. 977 - 12 - 0369 - X



قداسة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

## باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين



## تقديم لنيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس

يقول معلمنا بولس الرسول «تغيَّروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم لتختبُّروا ما هى إرادة الله الصالحة المرضية الكاملة» (رو ١٢:٢) كما يقول «حين ظهر لطف مُخلصنا الصالح وإحسانه لا بأعمال بر عملناها نحن بل بمقتضى رحمته خلّصنا بغسل الميلاد الثانى (المعمودية) وتجديد الروح القدس (فى سر الميرون) الذى سكبه علينا بغنى بيسوع المسيح مخلصنا» (تى ٤:٣ - ٦).

التجديد فى المفهوم الأرثوذكسى يبدأ بالمعمودية التى هى الولادة الجديدة وموت الإنسان العتيق، ثم مسحة الميرون المقدس التى تجعل جسدنا هيكلاً طاهراً مكرساً يسكن ويستريح فيه الروح القدس، الذى ينسكب علينا بغنى ويعمل بقوة حينما نعطيه الفُرصة ونطيع توجيهاته.

وبعد ذلك تُنمّى الأُسرَة فى الطفل روح الفضيلة والتقوى والممارسات الروحية، وتبعده عن الشر والأشرار، وحينما يكبر

يمارس التوبة والإعتراف على يد الأب الكاهن باستمرار، ليغسل قلبه وفكره من أى تلوث يصيبه أثناء مسيرة الحياة.

وهكذا يحدث التجديد باستمرار يصاحبه نمو النعمة، وفى معرفة ربنا يسوع حتى يصل المؤمن المجاهد «إلى قياس قامة ملء المسيح » (أف ٤:١٣) «ويمتلىء إلى كل ملء الله» (أف ٣:١٩)».

كتب الأخ الشماس الدكتور ميخائيل مكسى هذه النبذة بعنوان: «المفهوم الأرثوذكسى للتجديد»، تكلم فيها عن معانى التجديد وضرورته وبركاته.

نرجو أن تساعد هذه النبذة الكثيرين على حياة التوبة والتجديد والنمو الروحى.

بشفاعة أمنا العذراء الطاهرة مريم وصلوات أبينا الطوباوى البابا المكرم الأنبا شنودة الثالث.

ونعمة الرب تشملنا جميعاً آمين .

**الأنبا متاؤس**

**أسقف دير السريان العامر** الصوم الكبير ١٩٩٨

# التجديد في المفهوم الأرثوذكسى
# Regeneration

يذكـر الوحى المقـدس عـدة مـصطلحـات تدل على «**التجديد**» (Spiritual **Renewal**) **أو التغيير الروحى**، الذى يطرأ على الإنسـان المسيحى الذى يبدأ السير مع الله، ثم يدخل في عمق الشركة معه، ومن تلك العبارات المشهورة «الولادة من الله»، «**والولادة من الروح**» (يـو٣:٣ – ١٣، ١ يـو ٣:٤، ٤:٧، ٥:١، ١ بـط ١:٢٣) أو «**الولادة الجديدة**» من الماء والروح «**بالمعمودية**» (Paliggenesia = born again) .

وفى هذا المجال يقول الرب فى سفر حزقيال النبى: «آخذكم من بين الأمم... وأرش عليكم مـاءً طاهراً، فـتطهـرون من كل نجاساتكم (خطاياكم السابقة) **وأعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديدة فى داخلكم**، وأنزع قلب الحجـر (القسـاوة) من لحـمكم. وأعطيكم قلب لحم (حنون وعطوف)، وأجعل روحى (القدوس) فى داخلكم، وأجـعلكم تسلكون فى فـرائضى (وصـاياى) وتحـفظون أحكامى، وتعملون بها» (حز ٣٦:٢٤ – ٢٧).

**وفى العهد الجديد**، تحدَّث الرب يسوع – مع نيقوديموس – عن ضرورة الولادة الروحية «من فوق»، وشرح له أهميتها مؤكداً هذا المبدأ العقيدى بقوله: «إن كان أحد لا يُولد **من الماء والروح** لا يقدر

أن يدخل ملكوت الله. المولود من الجسد، جسد هو (يحيا حياة جسدية) والمولود من الروح (القدس) **هو روح** (يحيا حياة روحية عالية).... » (يو ٣: ٤ ـ ٨).

والمفهوم الأرثوذكسى «**للولادة الروحية**»، أن تتم أولاً من خلال ممارسة طقس المعمودية (Baptismal Regeneration) وهو فكر الآباء فى الكنيسة الأولى (١) بهدف مغفرة الخطية الجدّية (الموروثة من آدم وحواء كمرض روحى).

أما تعبير «**المعمودية الثانية**» فالمقصود به سلوك الخاطىء طريق التوبة والدموع، طلباً لرحمة الله، بعدما تتدّنس النفس بالخطايا والآثام والذنوب، وتتوب عنها من كل القلب، وتعترف بها وتندم علىّ إرتكابها ولا تعود اليها، مهما كانت الإغراءات.

ومن مراحم الله الواسعة – ومحبته الكبيرة – أنه يُحرّر المسّبيين منها، ويُعتقّهم من حملها الثقيل (أش ٦١:١) ويّجدّدهم، ويّبرّرهم أيضاً (١ كو ١: ٣٠، رو ٣:٢٤) فيصيرون خليقة جديدة تماماً (= بلا ذنوب سابقة) {New - Creatian} ويحوّلهم من مُجرد تائبين عاديين، الى قديسين مبّررين.

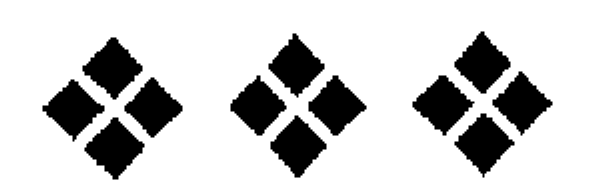
ويرى البعض أن هذه العمليات تتم بمجرد رجوع النفس الى الله (Conversion) أى بالتحوّل من السير فى طريق الشر

(1) Unger, Dict. of the Bible, p.916

والإثم، الى الحياة المقدسة (الطاهرة) مع الله (epistrophé) {أع ٣:١٥} وبالتالى تشتاق النفس «**الجديدة**» إلى هداية الآخرين، من البعيدين عن حظيرة الكنيسة، وردهم الى فاديهم (لو ١:١٦).

ومن ثم يرجعون من الظلمات الى نوره العجيب (أع ٢٦:١٨). ومن طريق الضلال والفساد والمرض والجوع والمعاناة الى طريق الخلاص والنجاة (يع ٥:٢٠) وهو أعظم عمل فى العالم وله أعظم أجر فى السماء (مت ٥:١٩).

ولا شك فإن المعمودية «**كصبغة**» لا تُمحى (dye) **تعمل على تجديد النفس فعلاً**، مثل الثوب الكالح (الباهت اللون) الذى يُغمس فى إناء الصبغة. فيخرج زاهياً، وكالجديد تماماً فى لونه.

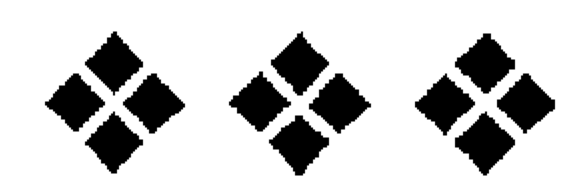


ويرى البعض أن «**التجديد**» (Kairotes = Newness) هو وجود الإنسان المؤمن فى حالة جديدة، أى يعيش الحياة بروح جديدة، أو حسب تعبير الرسول بولس، «يسلك فى جدة الحياة» (رو ٦:٤)، **بعمل الروح القدس فى النفس** (يو ٣: ٥ – ٨ تى ٣:٥) أى يصير المؤمن «**خليقة جديدة**» (فى كل شىء) ويعيش فى حياة روحية سعيدة.

وهو ما لاحظه كاتب هذه السطور، مع كل النفوس التى عرفت المسيحية عن قُرب، وأحبّت المسيح من قلبها، ثم إعتمدت

على إسمه، ولا تزال تخدمه بأمانة، **وتفرح جداً بتلك الحياة الجديدة في المسيح**، رغم شدة ما تناله من أذى أهل العالم!!

ويذكر العالم الأمريكي (Unger) أن عملية «**التجديد**» تختلف عن **عملية «التبرير» الإلهي للنفس** (Justification)، لأن التبرير هو حدوث تغيير في علاقتنا مع الله، بينما التجديد (regeneration) هو تغيير في الاخلاقيات والسلوك والطبيعة البشرية (nature)، كما يختلف أيضاً عن عملية «**التقديس» الإلهي للنفس** (Sanctification)، التي تعني قيام الرب بتطهيرها من الذنوب السابقة، ونمو المرء في النعمة (في حياته الجديدة بوسائط النعمة والخلاص)، ووصولها الى درجات عُليا في سلّم الكمال الروحي (Perfection)، بينما **التجديد** هو مجرد بداية لتلك الحياة الجديدة مع الله (٢).



## ( ١ ) أهمية وضرورة الحياة الجديدة في المسيح:

من طبيعة الحياة الدنيا التطور والتقدُّم والتجدُّيد المستمر، سواء في الإنتاج أو في آلاته وأدواته ووسائله، وسعى الإنسان وراء كل جديد ومُبَتكر – في كل المجالات. ونرى تشجيع السيد المسيح على العلم والمعرفة السليمة، وتشجيع الكنيسة المصرية على الإبداع والإبتكار والتقدم العلمي والتكنولوچي، والاستفادة به

(2) Unger, I bid. p.q16.

فى مؤسساتها الروحية والإجتماعية، كما تتمنى النمو والتقدَّم على كافة المستويات والأفراد والهيئات والدول، حتى لا تتخلّف عن غيرها وتخسر كثيراً، وينخفض مستوى معيشة أهلها.

وبالمثل فى مجال الحياة الروحية، فهى تحتاج الى تجديد، ونمو مستمر للنفس نحو الأفضل والأكمل، وبالتالى عدم الرجوع إلى الوراء، بل السعى نحو الملكوت بخطىً سريعة وجادة، فى طريق الأبدية الطويل والشاق، دون النظر الى كثرة العوائق.

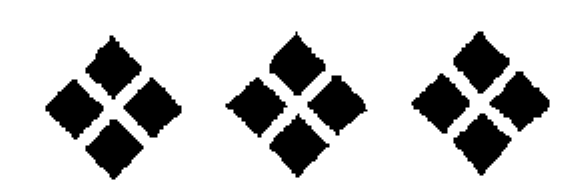
ولا يصلح نظام التلميع الخارجى (القبور المُبيَّضة من الخارج) أو الترقيع للقديم، **بل التجديد الشامل** (كالسيارة القديمة التى تحتاج الى «عمرة» كاملة، حتى تسير بدون توُقّف)، وكقول الرب يسوع: «ليس أحد يخيط رُقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق، وإلاَّ فالملء الجديد يأخذ من العتيق، فيصير الخرق اردأ (أو لا يوافقه لون أو شكل الصقعة الجديدة حسب تعبير لوقا البشير ٣٦:٥). وليس أحد يجعل خمراً جديدة فى زقاق (وعاء جلدى) عتيقة لئلا تشق الخمر الجديد الزقاق (القديمة) فالخمر تنصبّ (تنسكب على امهرض) والزقاق تتلف، بل يجعلون خمراً جديدة في زقاق جديدة» (مر ٢١:٢ - ٢٢).

ويقول الرسول بولس: «إن كان أحد فى المسيح، فهو خليقة

جديدة، الأشياء العتيقة قد مضت، هوذا الكل قد صار جديداً» (٢ كو ٥: ١٧). أى تجديد شامل للنفس والجسد والعقل (الأفكار الصالحة والنيرّة).

ويطلب الرسول من مسيحيّي كنيسة أفسس قائلاً: «أن تخلعوا من جهة التصرُّف - السابق - الإنسان العتيق الفاسد (الحياة الشريرة السابقة) بحسب شهوات الغرور، وتتجدّدُوا بروح ذهنكم، **وتلبسوا الإنسان الجديد**، (السلوك على حسب تعاليم المسيح) **المخلوق بحسب (إرادة) الله فى البرّ وقداسة الحق**» (أف ٤: ٢٢)

وينصحنا القديس بولس أيضاً بقوله: «نقوُّا منكم الخميرة العتيقة (المكر والخداع والغش والرياء والكبرياء والعادات الرديئة والشهوات المُهلكة.... الخ)، لكى تكونوا عجيناً جديداً (تشكيل جديد للنفس البشرية)... إذن لنُعيد ليس بخميرة عتيقة (= بأساليب غير روحية وبالية)، ولا بخميرة الشر والخبث ( اللؤم والمكر) بل بفطير الإخلاص والحق» (١ كو ٥: ٧ - ٨).



**(٢) كيفية التجديد وضرورته وبركاته (فى المفهوم الأرثوذكسى):**

نسمع أحياناً أحد الأخوة يتساءل: «هل خَلُصت؟!» «وهل

تجددَّت؟!»، «ومتى تجدّدت»؟!، «وما سبب تجديدك؟!» ويقصد بالطبع ذكر اليوم الذى أعلن فيه المرء توبته عن الخطية، وتخلّيه عن الشرور، أو العادات الردّية، وظروفها ودوافعها التى هجرها بسببها!!

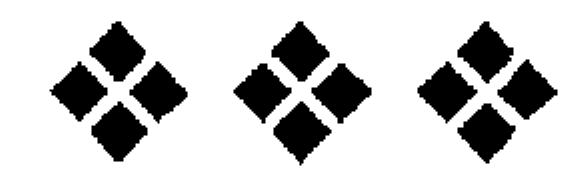
أما المفهوم الأرثوذكسى (السليم) «للتجديد»: **إنه عملية مستمرة طول الحياة، وحتى الوفاة.** فالنفس البشرية الضعيفة تحتاج الى توبة دائمة - ومتكررة كل يوم - وتحتاج الى اعتراف كامل بكل الأفكار والأقوال والأفعال اليومية، التى لا تُمجد الله وتُضر الإنسان.

ومن الصعب قبول القول بأن إنساناً ما قد تجدّد تماماً، فى وقت معين، وأنه لم يعد فى حاجة الى توبة أو إلى تجديد، أو الى بداية من جديد، لأنه بهذا الفكر الغير سليم يتوقّف عن النمو الروحى، عند حد مُعيَّن. على نقيض ما يطالب به الرسول بولس من النمو، حتى **ملء قامة المسيح** (راجع كتابنا: «تغيرّوا وأنمواّ» فى الصفحات التى تلى هذا).

وقد شرح القديس بولس لشعب كنيسة «فيلبى» جهاده مع النعمة، ولكنه فى اتضاع عملى قد أعلن لهم: «ليس إنى قد نلت (حققت كل آمالى الروحية) أو صرّتُ كاملاً، ولكنى أسعى لعلّى أدرك (أحقق أهدافى). أنا لستُ أحسب نفسى إنى أدركت (الهدف)، ولكنى أفعل شيئاً واحداً: **إذ أنا أنسى ما هو وراء، وأمتد الى ما**

**هو قدام** (التـقـدُّم الروحى) **اسعى نحو الغرض** (الهـدف الروحى)، فليفتكر هذا جميع الكاملين منا... وكونوا متمثلين بى، ولاحظوا (إقتدوا بكل) الذين يسيرون هكذا، كما نحن عندكم قدوة».

ثم يُضيف الرسول قائلاً: «لأن كثيرين يسيرون (بلا خكمة = بعيداً عن الكنيسة) ممن كنت أذكرهم لكم مراراً (بالخير) والآن أذكرهم أيضاً باكياً، وهم أعداء صليب المسيح، الذين نهايتهم الهلاك، لأنهم يفتكرون فى الأرضيات (وقد ابتعدوا عن السماويات)....» (فيلبى ٣: ١ ـ ١٩). وبالتالى لم يستفيدوا من تجديدهم السابق، والمُتوقف عند حد مُعين، مما أدى الى إنحرافهم عن الهدف المقدس، واتجاههم الى التفكير فى العالم وشروره، ومحبة مادياته أكثر من الله!!



وأول خطوة فى عملية التجديد الروحى للنفس هى سلوك طريق التوبة الصادقة، والتى لا رجعة فيها، مهما كانت الحروب الشيطانية ضارية، لأن يد الله القوية تُعين كل من يتكل عليه، ويطلب معونته فى وقت التجارب والمتاعب، كما فعل مع الشهداء والقديسين والمعترفين والسوَّاح والرهبان، فانتصروا وساروا فى الطريق الضيق الى النهاية، مستندين على عمل النعمة ووسائطها الفعالة فى النفس.

ومن الجدير بالذكر أن «**التوبة**» Repentance في الإصطلاح الروحي (القبطي = اليوناني) هي: «مطانية» (**Metanoia**)، وتعني حرفياً «**تغيير الإتجاه، او تجديد الذهن**» (= الفكر الجديد السليم)، أي تجديد القلب مما رسب فيه من أفكار عالمية، تسببت في صدئه وتحجره، فيصير قلباً «جديدا» مُتضعاً ورحوماً ومحباً وطائعاً للوصايا والإرشاد.

وما نحب أن نؤكد عليه - الآن - هو أن «التجديد» السليم ليس في تغيير الملابس القديمة والبالية، واستبدالها بملابس جديدة وزاهية، ولا بالزينة الخارجية العالمية (لتحسين ملامح الوجه)، ولكن التجديد الروحي المطلوب للمؤمن (والمؤمنة)، والمرغوب فعلاً لدى الله، **هو تغيير القلب** من محبة الخطية، **الى محبة الله والناس** (لو ١٠:٢٧) وليس مجرد ترك الشر والخطية والعادات الردية فقط، وإنما **كراهية الخطية بكل صورها واماكنها الدنسة**، والابتعاد تماماً عن الصداقات والمناظر، والقراءات المُعثرة.

وبالأكثر تغيير الذهن، بحيث يكون للمُتجدد مفاهيم روحية جديدة وسليمة، تتمشى مع روح الإنجيل، ووصايا الآباء القديسين. وأن يكون للمؤمن الجديد ذهناً حكيماً (عاقلاً) وصاحياً، وواعياً بما يضره، وما يفيده روحياً، وما يبُعده عن الله،

وما يساعده على خلاص نفسه.

وأن يفكر المُتجدد فى الفضيلة الجميلة، ويرفض الرذيلة (وكل شر وشبه شر) وأن يستفيد بكل **«كلمة منفعة»** يرسلها الرب له بأية وسيلة، مباشرة أو غير مباشرة (سواء بالوعظ والإرشاد، أو بالتجارب له أو لغيره).

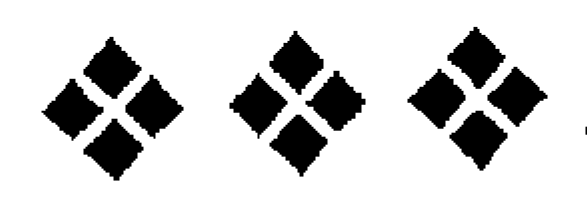
وأن يعرف طريقه إلى الملكوت، ولا ينشغل قلبه بأباطيل العالم الفانى، وأن يحدد **هدفه الروحى**، وأن يعرف الحكمة الإلهية من وجوده المؤقت على الأرض، وأن يسعى لتحقيق هذا الهدف الروحى، ويعطيه الأولوية على كل ما عداه من الأهداف العلمية والاقتصادية الإجتماعية... الخ، وأن يستفيد من كل وسائط الخلاص للنمو فى النعمة والتجديد المستمر للقلب والذهن (بالصلاة والصوم السليم والصدقة والترنيم والتسبيح والقراءات والاجتماعات الروحية المنعشة للنفس والاعتراف بالخطايا، وطلب المشورة الروحية والتناول المستمر من السر الأقدس... الخ).

وبعبارة أخرى، فإن بداية «التجديد» تتطلب أن **يقطع المؤمن عهداً جديداً مع الله**، وأن يدوام على الإشتراك فى أسراره المُحيِّية (لو ٢٢:٢٠، ١ كو ١١:٢٥) والمقوية للنفس البشرية الضعيفة ومُعايشة الحارين فى الروح، وتجنُّب المُتهاونين فى أمور خلاصه

(وما أكثرهم اليوم)!!

وعلى هذا الأساس، يقول الرسول الحكيم: «لا تُشاكلوا (أهل) هذا الدهر (عدم تقليد الأشرار، أو الفاترين فى الروح)، **بل تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هى إرادة الله** الصالحة المرضيَّة الكاملة» (رو ١٢:٢) ومن ثم فالتجديد **للداخل قبل الخارج**، كما يقول الرب يسوع: «نقوا أولاً داخل الكأس والصحفة» (مت ٢٣:٢٦).

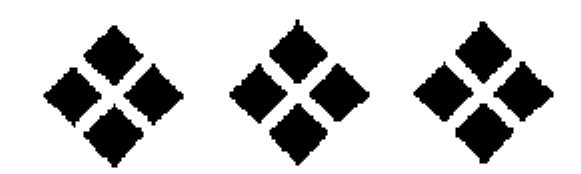
ويذكر القديس يوحنا ذهبى الفم مثلاً عملياً لذلك بقوله: «إن إنساناً وجد أساسات بيته القديم قد بدأت تتساقط، وبدلاً من أن يقوم بترميمها من الداخل، أقام حول منزله سوراً جميلاً، وطلاه بلون جميل، فسقط البيت بأسرع مما تتوقع!! هكذا الذى يهتم بالخارج، وينسى الداخل، وهو الأهم.



وليس من المسيحية فى شىء أن نضغط على النساء والبنات، أو أن نوجّه لهن كلمات قاسية بسبب مظهرهن غير اللائق، ولكى يرتدين، رغماً عنهن - ملابساً شديدة الإحتشام، وأنما نقودهم الى المستشفى الروحى (الكنيسة) للقاء أب اعتراف حكيم،

يرشدهن إلى حياة التوبة (والإعتدال فى كل شىء)، ويصلى لكى تعمل النعمة فى حياة الإنسانة وقلبها الفارغ، وتقوم الأسرة بتكوين صداقات بارة لأبنائها لتقليدهن فى سلوكهن المبارك.

وعندما يتغيَّر قلب الفتاة، ويتجدَّد بكلمة الحياة (وليس بسبب ضغوط إجتماعية لا تقتنع بها فعلاً) وتحب الإنسانة الرب من كل القلب، حتماً سيجد الاحتشام طريقه الى قلبها، وبكل استحسان لا استهّجان، كما حدث مثلاً للقديسة مريم المجدلية، التى احتشمت بعدما عرفت الرب، وتجدَّدت فى القلب.



وإذا كان الرب المُحّب يدعو كل نفس مُتعَبَة بالخطية - وهمومها الثقيلة - أن تأتى اليه فوراً، ليُخلّصها منها، ويُجدّدها ويُسعدّها - فى الدنيا وفى الأبدية - فمن عدم الحكمة طاعة شيطان «**التأجيل**»، إلى أن تضيع الفرصة الوحيدة الذهبية، ويُغلقَ باب القبر على الجسد الفاسد، وترقد النفس الشقية فى جهنم، بلا أمل فى الرجوع، أو فى التجديد، أو التحرُّك من هذا الوضع الحزين!!

واستمع معى لصوت الرب على لسان حزقيال النبى، وهو يخاطب كل الناس بصراحة تامة قائلاً: «أليست طرقكم غير مستوية (أو غير مستقيمة)؟! إذا رجع البار عن بره وعمل إثماً

(إرتد للشر والفساد) ومات فيه (هلك به) فبأثمه الذى عمله يموت» (يهلك لعدم توبته فى حينه).

ثم يسترسل الوحى فيقول: «وإذا رجع الشرير عن شره الذى فعل (تاب وعمل حقاً وعدلاً فهو يُحيى نفسه... وإن رجع عن كل معاصيه التى عملها، فحياة يحيا، لا يموت (لا يهلك بذنبه)...

ثم يُقدّم الرب نصيحة عملية قائلاً: «توبوا وارجعوا عن كل معاصيكم، ولا يكون لكم الإثم مهلكة. إطرحوا كل معاصيكم التى عصيتم بها، وأعملوا لأنفسكم قلباً جديداً، وروحاً جديدة (أسلوب روحى جديد). لأنى لا أُسرّ بموت من يموت (يهلك بشره) فارجعوا واحيّوا» (حزقيال ١٨: ٢٥ - ٣٢).

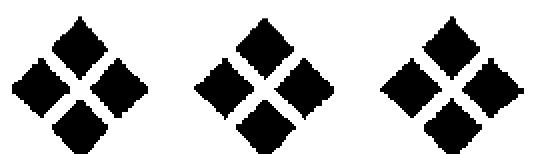
وقال القديس بطرس للكثيرين يوم الخمسين: «توبوا وارجعوا لتمُحىً خطاياكم، **ولكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب**» (أع ٣:١٩).

ويشرح لنا الرسول بولس كيف أن المؤمن الحقيقى (المُتجدّد) تموت فيه الرغبة فى الشهوات المختلفة ومجد العالم والطمع (وغيرها من الخطايا والدنايا). ثم يُعلّق على ذلك الوضع بقوله: «التى من أجلها = الخطايا) يأتى غضب الله على أبناء المعصية [كما حدث مثلاً فى الطوفان أيام نوح، وهلاك كل من أشرار

مـدينتى سـدوم وعـمـورة، وبنى قـورح فى سـيناء}، الذين أنتم (مثلهم) سلكتم قبلاً (فى الخطية) حين كنتم تعيشون فيها».

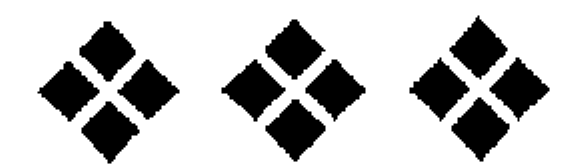
«أما الآن فاطرحوا عنكم الكل (كل الخطايا التالية): الغضب – السـخط – الخُبث – التـجـديف – الكلام القـبـيح – ولا تكذبوا بعـضكم على بعض، إذ خلعتَّم الإنسـان العـتـيق مع أعـمـاله (الشريرة) ولبسـتم الجديد، الذى يتجددَّ للمعرفة، حسب صورة خالقه... الخ» هذا، من جهة السلوك بأسلوب التوبة السّلبية.

أما من ناحيـة السلوك بإيجابية وبروح عملية مُتجدّدة، فيقول الرسول ناصحاً: «فالبَّسوا كمختارىّ الله ـ القديّسين المحبوبين – أحشاء رأفات، ولُطفاً وتواضعاً ووداعة، وطول أناة، محتملين بعضكم بعضاً، ومسامحين بعضكم بعضاً... كما غفر لكم المسيح، هكذا (اغفروا) أنتم أيضاً. وعلى جميع هذه (وفوق كل هذا) إلبسوا المحبة التى هى رباط الكمال وكونوا شاكرين» (كو ٣: ٥ ـ ١٥)



وقبل أن يُحددَّ الرسول بولس طريقة التوبة والتجديد، يوضح من صفات الله، طول باله على الخُطاة، ويقول: «إنه من إحسانات الرب إننا لم نفن، لأن مراحمه لا تزول – **هى جديدة فى كل صباح** – طيَّب هو الرب للذين يترجّونه، للنفس التى تطلبه، لأن الرب لا

يرفض الى الأبد (الى ما لا نهاية، لأنه يفتح باب التوبة دائماً). فإنه ولو أحزَنَ (سمح بالتأديب للخاطىء)، يرحم حسب كثرة مراحمه، **لنفحص طرقنا ونمتحنها** (هل نسير فى طريق الله بأمانة؟)، **ونرجع للرب**، لنرفع قلوبنا وأيدينا - الى الله - فى السماوات» (مراثى٣: ٢١ - ٤١).



ويوضح القديس بولس أن «**التجارب**» قد تكون دافعاً للنفس الحكيمة لطلب التوبة والتجديد، لأنها تفهم الهدف الإلهى منها: «لذلك لا نفشل، **وإن كان إنساننا الخارج يفنى** (يتألم من التجارب) **فالداخل يتجدّد يوماً فيوماً**، لأن خفة ضيقتنا الوقتية تُنشىء لنا - أكثر فأكثر - ثقل مجد أبدياً» (٢ كو ٤: ١٦ - ١٧).

ولا يعنى سلوك طريق التوبة والتجديد، الرجوع الى ممارسة طقوس وفرائض العهد القديم، كتلك التى كانت ترمز للفادى يسوع وانتهت بمجيء المرموز إليه، كقول الرسول بولس «لأنه في المسيح ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغُرلة (من الناحية الروحية لا الصحية) **بل الخليقة الجديدة**، لأن الذين يسلكون بحسب هذا القانون (= الإستفادة بالتعاليم المسيحية فقط) عليهم سلام ورحمة» (غلا ٦: ١٥ - ١٦).

وقد كتب الرسول بولس الى مسيحيّى غلاطية، الذين كان

بعضهم قد عادَ الى ممارسة بعض العادات الغير روحية السابقة على الإيمان، فقال : «وأما الآن إذ عرفتم الله - بل بالحرى عرفتم (تعلمتم) من الله - فكيف ترجعون أيضاً الى الأركان الضعيفة الفقيرة، **التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد**؟!، أخاف أن أكون قد تعبتُ فيكم عبثاً»!! (غل ٤: ٩ - ١١).

ويقول لشعبه فى روما: «لأنه لما كنا في الجسد (الحياة السابقة علي الإيمان) كانت أهواء الخطية تعمل في أعضتئنا لكي نثمر للموت (تؤدى للهلاك الأبدى)، أما الآن (فى الإيمان) **فقد تحررنا** (من عبودية الخطية) **حتى نعيذ بجدة الروح، لا** بعتق الحرف» (حرفية الناموس الموسوى) {رو ٧: ٥ - ٦}، أى أن النفس المؤمنة والمُتجددة بالنعمة لا تتمسك بحرفية الطقس، وإنما بالعمق وبالروح (رو ٧:٦)

❖ ❖ ❖

ومن المؤكد، أن الذى تاب وتجدد مؤقتاً، ثم عاد للخطية، وعاش حياة التهاون بالخلاص واللامبالاة، ورفض صوت الله، وعاند توبيخ الروح القدس، وإمتنع عن العودة الى التوبة، وسخر من صوت الخادم، تكون نهايته محزنة جداً، بل وخطيرة للغاية، **لأنه لا مجال للرحمة لمن يقسى قلبه الى ما لا نهاية!!**

وهذا ما أوضحه الوحى المقدس على لسان القديس بولس

بقـوله: «لأن الذين اسـتنيـرُوا مـرة (أعـتـمـدوا) وذاقـوا الموهبـة السـمـاوية، وصـاروُا شُركـاء الروح القـدس، وذاقـوا كلمـة الله الصـالحـة، وقُوات الدهـر الآتي وسـقطوا، **لا يمكن تجديدهم أيضا للتوبة**، لأنهم يصلبـون ابن الله ثانيـة ويُشـهـرُونه، لأن أرضـاً قـد شـربت المطر، وأخـرجت شـوكاً وحـسكاً، **فهي مرفوضة**، وقـريبـة من اللعنة، التي **نهايتها الحريق**» (عب ٦:٦ - ٨) وهو حـزم وحـسم، لا يحـتـاج الى تعليق!!

وعلى النقيض من ذلك، فـإن النفس التي تتـوب فـعـلاً، وتعـرف ثمار التوبة، وتطالب بالتجديد المستمر للقلب والذهن، لابُد أن تنعم بمزايا روحية كثيرة (راجع مثّل «الأبن الشاطر»، في لوقا ١٥ : ١١ - ٣٢).

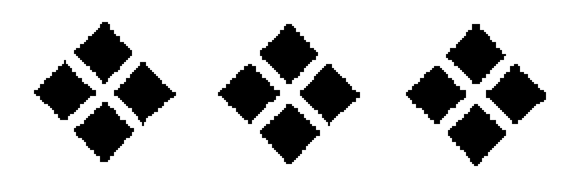
❖ ❖ ❖

كمـا يحـفظ الجسـد - المُتـجدّد بالنعـمـة - ذاته من أمـراض ضـارة بالنفس والجسـد، ويبـتـعـد المرء عن العـار والمرار والدمـار، والحزن والقلق وفقدان السلام مع النفس، ومع الله ومع الناس!!

وفـوق ذلك «**يتجدد مثل النسر شبابه**» (مـز ١٠٣:٥) فـيُعَمّر طويلاً مع الله ويعـيش في دنياه بصـحـة جيدة بعدمـا يتـخلّص الإنسـان المُتجدّد - بنعمـة الله وقوته - من كل العادات والشهوات الرديّة، المشهـورة في عـالمنا الفـاسـد، والتي تهلك الروح والجسـد!! وتترك

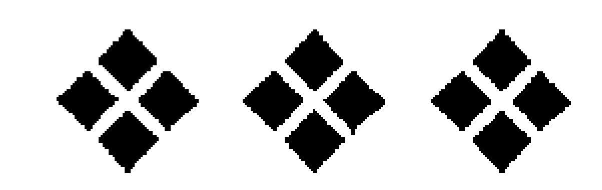
النفس عليلة.

وعندما تتجدّد النفس، تتكلم «بلسان جديد» (مر ١٦: ١٧) {كما حدث للقديس بطرس بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين}، وتتمتع النفس أيضاً بحياة سعيدة، وفرح قلبى، وسلام داخلى عجيب (حسب وعد الله، وكما حدث للقديسين وكل التائبين المُجدَّدين، وكل المولودين ولادة جديدة).



وأخيراً، فلنشكر الرب المُحب - من كل القلب - مع الرسول بولس، الذى أشار الى بركات «تجديد الروح القدس، الذى سكبه بغنى علينا»، بيسوع المسيح مُخلصنا» (تى ٣: ٥).

ولنهتف مع داود النبى - ونطلب من الرب - ونقول له: «روحك القدوس لا تنزعه منا أيها الصالح - بل جدّده فى أحشائنا» وأعطنا قلباً جديداً وحياة جديدة. ولك الحمد والشكر، من الآن وإلى الأبد، آمين.



# الفهرست الصحفة

دراسات روحية
بإشراف نيافة الحبر الجليل الأنبا متاؤس
أسقف ورئيس دير السريان العامر

# تغيَّروا .. وانموا

## من كلمات معلم الأجيال القمص صليب سوريال

عظة أعدها بتصرُّف
دياكون د. ميخائيل مكسي إسكندر

٢٧

# رسالة رأس السنة والعام الجديد

+ + +

# تغيرْوا ... وانموآ

**مقـدمة :**

من الأمور التعليمية الروحية التي علمّها لنا خدّامنا الأوائل ضرورة تسجيل ملخص، متضمناً لنقاط العظات، والتأملات التي يقدمها الآباء والوعاظ المملوئين بالروح القدس، وكذلك أهم نقاط الكتب الروحية التي نقرأها، حتي نستعيدها ولا ننساها بمرور الوقت، وفي نفس الوقت تعتبر كنزاً روحياً نتزّود منه كلما احتجنا الي كلمة منفعة لنا أو للخدمة، لتحضير عظات مُطعّمة بكل ما نقرأ ونسمع، وما نحتفظ به من كلمات عبّر السنوات.

وقد وقعت تحت يدي بضع كلمات سجلتّها في نقاط، لعظة ليلة رأس السنة عام ١٩٨٩، ألقاها جناب أبينا الطوباوي الراحل «**القمص صليب سوريال**»، بكنيسة مارمرقس

بالجيزة، وكانت تلك الخدمة تحمل عنوان «تغيروا ، وانموا» : (Transform & grow) وقد استعان فيها قداسته بنصين مقدسين، مختارين من رسالة القديس بولس الرسول الي كنيسة رومية (١٢ : ١) ورسالة القديس بطرس الرسول الثانية (٣ : ١٨).

وسوف نستعيد معاً أهم نقاط هذه العظة المباركة، مضافاً إليها بعض الآيات والتأملات الخاصة، التي تساعدنا علي فهم دعوته الي تغيير النفس تغييراً كاملاً وشاملاً، ونموها تدريجياً في طريق الخلاص، وهو مطلب إلهي لكل الشعب.

الرب يجعلها سبب بركة لكل من يقرأها ، وينتفع بها ، بصلوات قداسة البابا شنودة الثالث، ومطراننا المبارك نيافة الأنبا دوماديوس وأبينا الأسقف المحبوب نيافة الأنبا متاؤس، ورجل الله الأمين أستاذ الأجيال الراحل القمص صليب سوريال، ولله الحمد والشكر علي كل الأحوال ، آمين.

+ + +

# الفصل الأول

## « تغيرّوا » (رومية ١٢ : ٢)

**تمهيـد**

قال أبونا صليب ـ طيبٌ الرب نفسه ـ إن العالم الحاضر قد تغيّر للأردأ ، في كل شئ، حتي «الطبيعة» نفسها قد تغيرّت هي الأخري للأردأ أيضا ، ويصرخ رجال علوم البيئة من أخطار التلّوث في كل مكان ولامُبالٍ لتلك الأضرار !! .

كما تغيّرت طباع البشر وانحدرت الأخلاق، وقلت الفضيلة، وشح فعل الخير، وسادت الرذيلة، والضياع والتمرّد ، والعناد وعدم الوفاء والإخلاص وندرت الأمانة، وساد الإنشغال بالمال وأمور الجسد ، والإبتعاد عن طريق الله، وما تبع هذا المسلك السلبي من قلق وفقدان للسلام في كل العالم !!

ولم تعُد هناك ابتسامات، بل تسود الأحزان والهموم، كما تكثر الشكوي طوال اليوم، والملل والقلق، وازدادت الأمراض النفسية والعصبية بسبب الخطية، والهرب من بيت الرب،

ونتيجة للسأم أصبحت الحياة «بلا معني» في نظر الأشرار، ونسوا الهدف المقدس من وجودهم المؤقت في الدنيا ، وتاه هؤلاء عن طريق المسيح، وعن الإيمان الصحيح !!

## أناس هذا الزمان :

ويقدم لنا الوحي المقدس وصفاً صادقاً ودقيقاً للبشر، ينطبق تماماً علي أهل هذا الكوكب الشقي الآن، ونستعيد صفة عالمنا هذا من قول داود النبي بأنه : «زمن السوء» (مز ٣٧ : ١٩).

كما وصفه النبيان عاموس وميخا بأنه : «زمان ردئ» (عا ٥ : ١٣ ، مي ٢ : ٣)، أو كما قال عنه النبي حزقيال : «زمان إثم النهاية» (حز ٢١ : ٢٥) ، حقاً لقد قربت نهاية الدُنيا، كما ظهرت الكثير من علاماتها (مرقس ١٣ ، متي ٢٤ ، لوقا ٢١).

وسوف يُحَل إبليس من قيده، ليضل العالم (رؤ ٢٠ : ٣) أكثر من الأول، أي اكثر مما فيه من ضلال ، وجهل روحي وانحراف عن الطهارة، وابتعاد عن الأهداف المقدسة، الي أمور

مخزية، تجلب العار والمرار، وتقضي علي المستقبل الأرضي والأبدي، لكل خاطئ متكبرٍ، معاند للحق ، يرفض التغيير للأفضل، ويظل أسيراً لعاداته الشريرة وأفكاره الضارة، وهو ما أوضحه المرنم داود عن الأشرار، إذ قال بصدق أنه : «ليس لهم تغيرٌ، ولا يخافون الله» (مز ٥٥ : ١٩) وقال عنهم يوئيل النبي «يمشون كل واحد (علي كيفه) في طريقه (الرديء) ولا يغيرون سُبلهم» (يؤ ٢ : ٧) !!

ويخاطب الرب كل إنسان، ليأخذ حذره من أهل هذا الزمان بقوله : «ولكن إعلم هذا أنه في الأيام الأخيرة ستأتي أزمنة صعبة، لأن الناس يكونون محبين لأنفسهم (أنانيون) محبين للمال، متعظمين مستكبرين،مجدفين (علي الله) غير طائعين لوالديهم، غير شاكرين، دنسين، بلا حنو (بلا رحمة ولا حنان) بلا رضي (بالوضع) ثالبين (خطافين)، عديمي النزاهة (غير أمناء) شرسين، غير محبين للصلاح، خائنين، مقتحمين (ارهابيون لايبالون بالنتائج الخطيرة لسلوكهم حسب النص اليوناني)، متصلفين (مغرورين) محبين للذات دون محبة الله،

لهم صورة التقوي (التديّن الخارجي)، ولكنهم منكرون قوتها. فاعرض (ابتعد تماماً) عن هؤلاء» (٢تي ٣ : ١ ـ ٥)

كما يستمر الرسول في ذكر سمات أهل هذا الزمان بقوله : «ويوجد كثيرون متمردين، يتكلمون بالباطل، ويخدعون العقول ... دائما كذابون، ووحوش ردية (يعتدون علي الناس) وقد تنجّس ذهنهم (بأفكار العالم الشريرة) يعترفون بأنهم يعرفون الله ولكنهم بالأعمال (الشريرة) ينكرونه» (تي١: ١٢ ـ ١٦).

ووصفهم القديس بطرس الرسول بقوله : «وأما هؤلاء فكحيوانات غير ناطقة، لهم عيون مملوءة فسقاً لا تكفُّ عن الخطية، خادعون النفوس غير الثابتة (في المسيح أو في الإيمان به) لهم قلب متدرب في الطمع، يخدعون (الناس) بشهوات الجسد (مثل إعطائهم سجائر أو أدوية أو مخدرات) واعدين إياهم «بالحرية»، وهم عبيد الفساد (العادات الشهوانية) لأن ما انغلب منه أحد فهو له مُستعبد أيضا» (٢ بط٢:١٢ـ١٩).

وقال أيضا أنهم قد تغيُّروا للأردأ : «فقد صارت لهم

الأواخر أشر من الأوائل، لأنه كان خيراً لهم لو لم يعرفوا طريق البِّر (حياة المسيح) من أنهم بعدما عرفوا الايمان يرتدون عن الوصية المقدسة، المسلمة لهم» (٢ بط ٢ : ٢ ـ ٢١). ثم يضيف الرسول بقوله : «عالمين هذا ـ أولاً ـ أنه سيأتي في آخر الأيام قوم مستهزئون سالكون بحسب شهوات أنفسهم وقائلين : أين هو موعد مجيئه ؟!» (٢ بط ٣ : ٣)

وبالفعل ظهرت في عالمنا المعاصر انحرافات نحو الإلحاد، منكرين الخالق والأبدية، بسبب إنغماسهم في الملذات، محاولين بذلك إسكات صوت الضمير الذي يؤنبهم، وإقناع ذواتهم ـ وعقولهم القاصرة ـ بعدم وجود عذاب أبدي للأشرار، حتي لا يتغيُروا ويتركوا اللذات، التي يغويهم عدو الخير بأنها هي سبب سعادتهم، وهي في الواقع سبب تعاستهم هم وذويهم!!

وهو ما أكده القديس يهوذا الرسول بقوله : «إنه في الزمن الأخير، سيكون قوم مستهزئون (بالتعاليم الدينية) سالكين

بحسب شهوات فجورهم. هؤلاء هم المعتزلون بأنفسهم (المنطوون، والذين يمارسون العادات الضارة في السر وبالتالي فهم فعلاً مرضي) نفسانيون، لاروح فيهم» (يهوذا ١٨ ـ ١٩).

ومن ثم ينصحهم الرسول بطرس قائلاً : «كأولاد الطاعة، لا تشاكلوا شهواتكم السابقة في جهالاتكم (السلوكيات السلبية السابقة) بل نظير القُدوسُ ـ الذي دعاكم ـ كونوا أنتم أيضا قديسين في كل سيرة» (ابط ١ : ١٤) والله سيساعد علي تحقيق هذا الأمل طالما نوي المرء علي سلوك طريق البرٌ.

+ + +

## دعوة السيد المسيح الى ضرورة التغيّير للأفضل :

من المؤكد أن ربنا له المجد، هو الوحيد الفريد، في الكون كله، الذي لا يتغيّر أبداً، كما صرح بنفسه وقال : «أنا الرب لا أتغيرٌ»(مل ٣ : ٦). وصفاته الإلهية الجوهرية ثابتة فيه منذ الأزل ولا يغُيرٌ القدوس مطلقاً من نظرته إلي بشاعة الخطية، والي نتائجها الخطيرة، كما أنه ـ تبارك إسمه ـ لاَ يُغيَّر أبداً

من وعوده أو عهوده للبشر، مهما طال الزمن، إذ «ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع ١ : ١٧)مثل بني الانسان، ولكنه ـ تعالي ـ قادر علي تغيير القلوب الحجرية (القاسية) لتصير قلوباً لحمية، مملوءة محبة ورحمة، وحناناً لكل انسان، مها كان (تك ١ : ٧، مز ٢٦، ١٠٢، فيلبي ٣ : ٢١).

والرب مستعد دائماً لتغيير النفوس الشريرة، التي تطلب التوبة، مهما كانت شرورها كبيرة وكثيرة وخطيرة، كما صفح مثلاً عن موسي الأسود، وعن أغسطينوس، وعن بلاجية ومريم المصرية وتائيس، وغيرهم من عُتاة الخُطاة التائبين النادمين.

ويُوجِّه الرب النظر إلي أهمية التغيير الداخلي لا الخارجي .. وعلي هذا الأساس حذَّرنا من هؤلاء «الذئاب» الخادعة والخاطفة التي ترتدي «ثياب الحملان» (بالكلام المعسول).

مقلِّدين في ذلك صديقهم الوفي «إبليس»، كما شرحه لنا القديس بولس وقال : «ولا عجب (في هذا التصرُّف الماكر) لان الشيطان نفسه يغيِّر شكله إلي شبه ملاك نور» !!(٢كو ١١ : ١٣ ـ ١٤).

وهو مـا أكـده الرب يسـوع بقـوله : «إن المرائين يُغـيّـرون وجوهم لا قلوبهم» (مت ٦ : ١٦). وإن كان الوحي المقدس قد أشـار قـديماً ـ إلي أن «المرأة يمكن أن تغُـيِّـر شكلها لا قلبهـا » (١مل ١٤ : ٢) (وهو مـبـدأ ينطبق أيضـا علي كـلا الجنسين بالطبع) فهو أُمر يدعو للتّوقف والتأمّل.

فـقد ينخدع بعض البـشر بمنظر البعض «الجـمـيل الصـورة» (بالمساحيق والأطياب) وبلسانهم المعسول، وبمظهرهم الخارجي الورع (بالملابس الطويلة)، ولكن اللّه وحـده العـالم بخـفـايا أصحاب تلك القلوب الفاسدة (النية الغير سليمة) ولهذا **فقد أكـد الفـادى على ضرورة نقاوة الداخل قبل الخـارج** (مت ٢٣ : ٢٦) وهو إحدي أسس التغـيير المطلوب، والمرغوب من الرب، وإحدي بديهيات المسيحية.

هذا وقد شبّـه القديس يوحنا ذهبي الفم التغـيير الخارجي فقط «بإنسان غير حكيم، ورث منزلاً قديماً، وبدلاً من أن يقوم بتدعيم أساساته الداخلية، قام بغباء بطلائه من الخارج، بلون

جميل، فسقط بسرعة، وبسهولة مُتوقّعة، وهو للأسف ما يفعله كثيرون من أهل هذا الزمان ، ويتحسرون بعد فوات الأوان !!.

ومن الجدير بالذكر أن السيد المسيح ـ له المجد ـ لم يقم بالدعوة الي تغيير النظام السياسي الروماني الموجود في فلسطين (في زمن تجسده) **وانما دعا الى ضرورة تغيير القلوب** ، أي تغيير الأفكار الشريرة، الي أفكار بارة وطاهرة.

ومن الجميل في المسيحية أنها توجه المرء الي اتباع أسلوب التغيير الحقيقي والسليم ـ والمفيد للنفس ـ من خلال اقتناع داخلي، وباستعداد فعلي للإنسان للتغيير وطلب التجديد والتطور للأفضل. وبعبارة أخري، فإنه يكون تغييراً «برضي الانسان» وليس بالقوة أو بالتهديد والوعيد، أو بسبب ضغوط اجتماعية أو عادات أو أفكار بالية وشكلية، مثلما يفعل أهل العالم في هذا الزمان، ويدعون الي تغيير الثياب (لا القلوب) ويستخدمون العنف في تحقيق أغراضهم، ويبقي الداخل كما هو، للأسف الشديد.

بينما العكس هو الصحيح. فقد تغيَّرت مريم المجدلية، عندما تغيَّر قلبها من محبة العالم والجسدانيات، إلي محبة الرب من كل القلب، فبدّلت ثيابها المُعثِرة، بعدما اكتست بثوب البُر والقداسة ونمت في الفضيلة، النابعة من عمل الروح القدس في قلبها، وغيَّر الرب ذهنها من الأرضيات الي السمائيات.بعدما استنار ذهنها بالروح القدس.

وقد علمتنا الحياة العملية أنه من الأفضل للآباء والأمهات أن يدفعوا بأولادهم وبناتهم ـ منذ الصغر ـ الي حضن الكنيسة، والي أب اعتراف مختبر، وإلي وسائط النعمة وإلي أصحاب مباركين، وبيئة كنسيَّة مباركة، ولن نخاف أبداً عليهم (لا سيما في فترة المراهقة) بل سيحدث لهم التغّير المطلوب، في هدوء دون الإلتجاء إلي التهديد أو الي الكلمات القاسية ـ والمعثرة ـ أو الي العقاب البدني الشديد، وهي أساليب غير روحية، وغير تربوية ، ثبت فشلها بطريقة عملية، بينما أفلحت المسيحية في تغيير الناس بسهولة مدهشة، بتعاليمها المقبولة والجميلة.

## أسباب التغيير للأردأ أو للأفضل :

يذكر جناب القمص صليب ـ في كلمته للشعب ـ أن الانسان الأول كان يعيش في علاقة ممتازة مع الرب، في جنة عدن، وهي صداقة عظيمة، كانت دائماً تنُميّه روحياً، وتُعلمّه كل جديد، وتُعَرّفه بكل ما هو مفيد في الحياة، ولكنه للأسف الشديد، انحرف تدريجياً من مداومة صداقة الرب ـ كل الوقت ـ الي مصادقة عدو الخير، الذي أعثره وأسقطه بخداعه، رغم تحذير الله له بعدم مخالفة الوصية ـ وعواقبها ـ فتغّير قلب الانسان الأول، ومال لصوت الشرير، وحصد ما ترتّب علي الخطية من نتائج ضارة وخطيرة (وكم نبكي علي نفوسٍ انحرفت نحو أصدقاء إبليس، فضاعت وتغيّرت صورتها السمائية الطاهرة الي سيرة غير مقدسة)!!

ومع ذلك فقد وعد الله آدم بإحداث تغيير في حياته وروحانياته، وهو ما تم في «ملء الزمان» (غل ٤ : ٤) إذ فداه الله من خطاياه وغيرّ طبيعته التي أفسدتها الخطية الي

صورة مقدسة، وسكن فيه الروح القدس (بثماره ومواهبه) فأصبحت للمؤمن قدرة كبيرة، وقابلية للتغيُّر من حياة الشر الي حياة الخير، ومن النجاسة الي القداسة .

ومازالت نعمة المسيح تعمل في كل قلب يبتعد عن بيئة الشر، ويقترب من الله ومن أسراره المقدسة، وينال مساندة إلهية قوية، ضد كل الحروب الروحية، حسب وعده الصادق : «لأنكم بدوني لا تستطيعون أن تفعلوا شيئاً (يو ١٥ : ٥) .

ومن ثم ، فقد أعلن الرسول بولس ـ بعد تغييره وتجديده ـ أنه قد صار في المسيح «خليقة جديدة» بعدما ذهبت عنه كل الأشياء العتيقة (٢ كو ٥ : ١٣) ولهذا قال مؤكداً معونة الله : «أستطيع كل شي في المسيح الذي يُقوِّيني»(فيلبي ٤ : ١٣) وإذا كان الله وحده هو الذي «خلق الإنسان» (تك ٦ : ٧) فهو وحده القادر أن يُجدِّد طبيعته الداخلية ـ العتيقة ـ بعمل الروح القدس فيه، ولهذا طلب المرنم التائب ـ بدموع ـ من الرب : قائلاً : «قلباً نقياً إخلقه في ياالله وروحاً مستقيماً جدِّده في

أحشائي» (مز ٥٠ : ١٠). وبذلك يصير التائب الحقيقي «مخلوقاً جديداً (انساناً جديداً) مخلوقاً بحسب الله في البرّ، وقداسة الحق» (أف ٤ : ٢٥).

+ + +

## كيفية التغيير السليم:

«التوبة» هي بداية سلوك طريق التغيير السليم للإنسان، وتركه حياة الشر العارض (وعدم السير في طريق الأشرار أو أماكنهم) والكلمة اليونانية التي تترجم «توبة» (مطانية Metania) تعني حرفياً «تغيير الإتجاه» (changing direc-tion) أي بدلاً من الاتجاه غرباً (مع الشيطان وأعوانه) يتجه التائب شرقاً (نحو النور) أي يتطلع القلب نحو الرب، ويسلك طريق الاستقامة، المريح للقلب والمؤدي للحياة الأبدية السعيدة، بعد كسر «حلقات السقوط الثلاثة» (المكان ـ الظروف ـ الاشخاص) عن طريق تجنُّب المكان المعْثر ، وظروف السقوط السابق في الخطية، والأشخاص المعثرين.

وهنا يتساءل أبونا صليب : «من يقدر أن يغيِّر؟» ثم يجيب بإيجاز بليغ : «إرادتك مع إرادة المسيح»، كما قال القديس أغسطينوس: «الذي خلقك بدونك، لا يخلِّصك بدونك».

وكثيرون يجيبون عندما نسألهم : «متي ستتغيَّر» ؟! فيجيب الواحد منهم «لما ربنا يريد»!! فهو فعلاً يريد خلاصنا الآن، ولكننا نؤجل طلب التغيير - أو العزم علي التغيير - حتي يمر الوقت بلا تغيير، ونتجمَّد في قوالب جامدة، ونعيش في أفكار بالية وفي حياة لا تُرضي الله، إلي نهايةِ العمرُ !!

فلنبدأ بالخطوة الأولي بالتوبة، ولنجاهد مع النعمة، وسوف يسندّنا القدير حتي نصل إلي هدفنا الأول والأخير «وهو خلاص نفسي» : وإن لم يتقدم الانسان للسير أول خطوة، لن يجد المعونة الإلهية، فالله لا يساعد من لا يساعد نفسه، كما يقول القديسون، كما أن طريق الألف ميل يبدأ بخطوة، والبداية القوية نصف العمل، كما يقول المثل.

وكثيرون وعدوا غيرهم بالتغيُّر من حياة الشر، ولم ينفذوا

لأنه لم تكن لهم الرغبة الحقيقية (الباطنية) في التغير، لمحبتهم للذة الجسدية، ولإتكالهم علي ذواتهم، ففشلوا في التغيير المطلوب.

ومن الجدير بالذكر أن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي تُقدِّم «المسيح» مُعيناً قوياً للنفس الساقطة، التي تغرق في بحر الشهوات، فتجد يده الحنونة ممدوده ـ عندما تطلبها ـ فتُخرجُها من وحلها بسهولة عجيبة.

والمهم أن يفتح الانسان قلبه وأذنه للرب (سواء بكلمات لينّة أو من تجربة صعبة) وأن يقترب من بيته، ومن وسائط نعمته.

وسُرعان ما تتغيرّ حالته البائسة والتعيسة، ويفرح بالخلاص، بدلاً من الإنغماس بغباء في ملذات الدنيا، التي تُزيده بؤساً وحزناً في الدنيا والآخرة.

فاقترب يا أخي، ولا تخف من طرق باب الرب ـ هذا العام الجديد ـ فهو لا يرفض أحداً مهما كانت ذنوبة كثيرة

وثقيلة، فسيحملُها كلها عنك، وتنزاح عن كاهلك فوراً.

فقد رضى أن يدخل إلي بيت زكا وغيّضره، والإبن الضال قد تغيرت حياته ومعيشته الصعبة، بعدما أقترب من أبيه الحنون، وتمتع بكافة الإمتيازات الربانية (لو ١٥: ١ ـ ٢٥).

وفي هذا المجال يقول جناب القمص صليب سوريال: «إن التوبة هي شعور الخاطيء بأنه في حاجة ماسة إلي التغيير السريع، والله يفرح بهذا الشعور (الإيجابي) ويفرح بكل نفس تطلبه، وتلتقي به، في أي مكان.

فقد تغيرت المرأة السامرية الخاطئة، عندما تلامست مع حب يسوع لها (يو ٤: ١ ـ ٤١). وكذلك تغير «شاول» الطرسوسي، بلقائه مع الرب، وطاعته الفورية له (أع ١ :٢٣) وتحوّل هذا الذئب الصعب وهذا اليهودي الفريسي ـ القاسي القلب ـ إلي خادم مسيحي مطيع وحمل وديع (بولس الرسول) وسعي إلي خلاص كل الناس، إلي أن نال إكليله.

والرب يقرع علي باب القلب منادياً بكل حب: «أقتربوا

مني، أقترب إليكم» (يع ٤ : ٨) فهو مستعد أن يُمسك بيد الخاطئ ويقيمه من عثرته، ويساعده في التغلب على العادات الضارة والرغبات الجسدية التي تتُعِب النفس والجسد والروح. فهل الانسان مستعد للاستجابة لصوت الله؟! أم لصوت شيطان التأجيل ؟!

وإذا كانت «الكبرياء» تحول دون إعتراف النفس بحاجتها للتغيير، فإن «الإتضاع» هو الذي يمّهد الطريق أمام النفس لكي تعلن مسئولياتها عن خطاياها وتندم عليها، لكي يُغيِّرها الرب المحب وتسعي لخلاصها وطلب وتقديسها.

كما سيقودك الإيمان الي السلام والاطمئنان بأن الرب قادر أن يُغيِّرك الي التمام، بعدما يزُيح عن كاهلك حْمل الخطية الثقيل، وكابوس الشر المزعج، وستدرك أنك قد نلّت «التبنّي»، وأصبّحتَ من عائلة المسيح، وتحت حمايته وسمعه وبصره، وأنك تتمتع بمساندته لك دائماً، لأنه يسكن فيك ويُقويّك، وينصرك في كل معارك حروب عدو الخير، التي

يقيمها عليك باستمرار، وكلما قرع الشيطان علي باب قلبك ـ منادياً لك بشهوة أو بفكرة رديّة ـ فسوف يُرسل لك الرب عوناً من عنده ـ لا سيما عندما تصلي اليه وتطلبه ـ ليحميك من كل فخاخ عدو الخير، ومن سهامه الملتهبة (أفكاره الضارة).

+ + +

## سمات التغيير الروحى المطلوب :

يقول القمص صليب ـ قدّس الله روحه ـ إنه تغيير كاملا للعواطف، فبدلاً من محبة العالم والجسد، يميل القلب الي محبة الرب ومحبة السمائيات.

وبدلاً من الإهتمام بأمور الدنيا الفانية، ينشغل المؤمن بالأبدية، ويستعد تماماً للقاء المسيح، في أية ساعة. وبدلاً من أن يهاب الموت، يشتاق اليه، ويفرح به، كمعبرٍ (كوبري) سريع للأبدية السعيدة.ويحدث التغيير الكامل للفكر والذهن، فيحيا المرء حياة جديدة وسعيدة، ليست مثل تلك التي يحياها أهل العالم في أفكارهم المادية وفي سلوكياتهم المعّثرة والضارة.

ولهـذا ينصـحنًا الرسـول الحـكيم ـ والمختـبـر ـ بقـوله : «لا تشـاكلوا (أهل) هذا الدهر» (أي سكان العـالم المعاصـر حسب النص اليوناني) : "not conformed to this world"

وأضاف قائلاً : «بل تَغيَّروا عن شكلكم، بتجديد أذهانكم» (renewing of your mind) (رو ١٢ : ٢)

أي يتغيَّر الطبع القديم القاسي والمكابر والمعاند والمستـهتر، فـيـصـيـر إنسـاناً جـديداً، حنونا ومطـيـعـا ووديعـاً ومملوءً مـحـبـة ومُهـتَّماً بخلاص نفسه، ومسـتفـيداً من كل كلمة منفـعة. وتتغـيَّر طبيـعـتـه الجـسدية الي طبـيعـة روحـيـة، لها اشتـيـاق لكلمـة الله وبيتـه وخدمته.

وسوف تتـغـيَّـر أفكار «التائب» من أفكار باليـة الي أفكار نيِّرة، وصالحة له ولغيـره. فلن يظن بعد أن «السيجارة هي التي تُهـدِّي من أعـصـابه الثـائرة (تروِّق مـزاجـه) وتنسـيِّــه همـومـه، وتريحه من أتعابه» !! بل العكس تماماً.

ولن يعـتـقد بعـد أن المال أو الجمـال أو العيـال ـ أو مناصب

الدنيا ـ هي وحدها مصدر سعادته، بل سيُدرك بذهنه النقي الجديد أن الروح القدس ـ هو الوحيد ـ الذي يجلب له الفرح الكامل والسلام الحقيقي، ويهبُه طول الأناة، عند التعامل مع الخطاة (غل ٥ : ٢٢).

وسيشعر أن لذته ومُتعتَه الحقيقية تكمن في عشرة الله لاسواه، بدلاً من مصادر اللهو، وأصدقاء السوء، ووسائل الإعلام الخادعة (ومن يتخذها مصدراً لفرحه لم يتجددٌ ذهنه بعد).

أما التغيير الكامل للنفس والروح والجسد «في الأبدية» فسيكون علي مثال ما حدث للمسيح علي جبل «التجّلي» transfiguration (مت ١٧ : ٢) وفي ظهوره الممجدٌ للتلاميذ، بعد القيامة، كما قال القديس بولس : «ونحن جميعاً نتغيرٌ الي تلك الصورة عينها، من مجدٍ الي مجد، كما من الرب الروح» (٢ كو ٣ : ١٨).

ويري بعض المفسرين أن المقصود بالتغيرٌ ـ في حياة الإنسان

التائب - ليس هو التغيير «في الشكل الخارجي» (الملبس) بل هو تغيُّر «روحي داخلي» (inwaed Spiritual transforma tion)(١) وتصير الحياة الداخلية كلها جديدة ومُتجدِّدة، قلب جديد، فكر (روحي) جديد، عواطف امية جديدة، أهداف روحية جديدة، أعمال جديدة ومحيدة (مُختلفة بالطبع عما يفعله أهل العالم).

ومن هنا كانت دعوة الرسول بولس إلي ضرورة «تجديد الذهن» (mind) وأن هدفه هو ما شرحه وأوضحه قائلاً: لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيّة الكاملة» (رو ١٢:٢)؟! (وهو ما سنفصله بعد قليل).

فالذهن المتغير للأفضل: هو الذي يكشف له الروح القدس «عما هو قصد الله من حياة الإنسان؟! وما هي الأهداف التي يسعي إليها المرء في الحياة الدنيا؟ وما هو المطلوب منه عمله في زمان غُربته! إلي أن يرحل إلي الفردوس، مع ب...

Jamieson and Otherso. Commentary on the ...ole Bible. P. 1174.

النفوس التي أستنارت بنور الروح القدس، وسارت على ضوء تعاليمه العظيمة، التي ضمهًا كتاب الله المقدس، وتتأملها باستمرار، بدلاً من صحف العالم وأخباره!!

ويؤكد الرسول بولس علي أهمية تغيير وتجديد الذهن، في رسالته لشعب كنيسة أفسس، التي قال فيها: «مستنيرة عيون أذهانكم، لتعلموا ما هو رجاء دعوته؟ وما هو غني مجد ميراثه في القديسين؟ وما هي عظمة قدرته الفائقة نحونا نحن المومنين»؟ (أف ١: ١٨ ـ ١٩).

وينصح الرسول شعبه أيضاً قائلاً: «لا تسلكوا فيما بعد، كما يسلك سائر الأمم ببُطل ذهنهم، إذ هم مظلموا الفكر، ومتجنبون (مبتعدون) عن حياة الله، بسبب الجهل (الروحي) الذي فيهم، بسبب غلاظة قلوبهم (كبراياوهم وعنادهم للرب وللناس ولأنفسهم)...، وأن تتجدوا بروح ذهنكم، وتلبسوا الإنسان الجديد المخلوق بحسب الله، في البّر وقداسة الحق» (أف ٤ك ١٧ ـ ٢٢).

وبعد، فقد عرفنا متي يتم التغيير ؟ وكيف يتم؟ وما الهدف منه؟ فهل نقرر فوراً الرغبة في الحصول علي تغيير جذري بمعونة الله، ونبدأ من الآن في التحوُّل في أسلوب الحياة والفكر؟! أم نظل علي حالنا حتي آخر عُمرنا ؟!

+ + +

## من علامات الذهن المتغَيَّر والمتجدِّد بالنعمة :

(١) تكون حياة الإنسان الجديد، وكلماته وأعماله وسلوكياته، حسب سلوكيات السيد المسيح ورسله وقديسيه، وعلي ضوء كلمات الإنجيل.

(٢) لا يُشاكل (يُشبه) أهل العالم الأشرار، في موضات ملابسهم المعثرة، أو في زينتهم الخارجية، أو في لهوهم وعبثهم واستهتارهم بأبديتهم، أو في عاداتهم وتقاليدهم غير الإيمانية، أو في تعاليمهم المضادة للإيمان المسيحي، بل تكون له الشخصية القوية الناجحة، التي تقود ولا تنقاد، تؤثر ولا تتأثر بجو الفساد، وأن يكون نوراً للعالم وملحاً جيداً للأرض (مت ٥

: ١٣ ، ١٤) ويكون قدوة لا عثرة، وعاملاً إيجابياً في إصلاح بيته ومجتمعه المحلي.

(٣) تكون له أفكار سليمة، تتمشي مع روح المسيحية وتعاليمها العظيمة، فلا تكون نظرته «للزواج» بغرض الجنس، أو للمال أو الجمال أو المنصب، بل لتكوين أسرة مقدسة (كنيسة البيت) التي تسودها المحبة المسيحية، ويكون فيها الشريك «معيناً» للآخر دائما (تك ٢ : ٢٠) لا سيما في ضعفه أو شيخوخته، ويقف المؤمن الي جانب رفيقه في ظروفه الصعبة، ولا يتخلي عنه في محنته، بل يسنده دائما، ويصلي الي الرب من أجله، حتي يُقيمه الله من عثرته، ويستُرد روحانيته، ويهتم بأبديته.

(٤) ويكون عطوفاً حنوناً وديعاً ـ مثل سيده ـ وسالكاً بحكمة روحية عالية، علي ضوء إستنارة الروح القدس، وإرشاد الآباء المختبرين.

(٥) ويكون مفهومه السليم «للحب»، ليس علي أساس

الميل العاطفي (الشهواني) بل المحبة المتسامية، التي تقوم علي مبدأ التضحية العملية، من أجل من يحبه، علي مثال فاديه، ومثل تعامل يوسف الصديق مع إمرأة فوطيفار

(٦) يرفض كل مفاهيم العالم المقلوبة، فيعرف أن القوة - أو العنف - ضعف، وأن القوي هو الذي يكسب الناس بالحب والحنان، لا بالضرب والإذلال والهوان. وأن الفرح ليس في لذأت الجسد، بل من عمل الروح القدس في النفس.

(٧) ويفهم ذو الذهن الجديد أن العبادة السليمة، هي القائمة علي حب الله من كل القلب،وليس بكثرة الطقوس الفارغة من العمق الروحي.

(٨) ويرفض قبول الخرافات العجائزية (١ تي ٤ : ٧) الخاصة بالإيمان المريض «بالحظ والنصيب (المكتوب علي الجبين)، وحسد العين، والتشاؤم أو التفاؤل بأمور معينة، والأعمال السحرية الضارة» وغيرها من المعتقدات الغير مسيحية (راجع كتابنا : الإيمان المريض) ، بل بروح الإيمان لا

يخاف من شر أي إنسان، لأنه ينال القوة الإلهية - والسلطان من الله - لكي يغلب به كل القوات الأعداء الخفيين والظاهرين (لو ١٠: ١٧ - ١٩)، كما حدث للقديسين والمؤمنين.

(٩) وسيقوده إيمانه إلي الصبر وإلي أنتظار الرب وعدم اليأس أو الفشل.

(١٠) وستتغير نظرة الذهن المستنير إلي المال ومحبته ليكون وسيلة لعمل الخير للغير، وليس للإكتناز (تحت البلاطة) خاصة وهو يعلم زنه غريب في الدنيا وكنزه في السماء.

(١١) ولن يجري وراء مناصب الدنيا الفانية، أو يصارع غيره للفوز بها بروح الأنانية، بل يقنع بالقليل من الماديات (١ تي ٦:٨) ويطمح إلي النمو في الروحانية والعلوم النافعة. وسينظر دائماً في أسر غُربته والإهتمام بأبديته. ويتطلع للحياة مع المسيح في الأرض إلي أن يستكمل المسيرة معه في السماء.

(١٢) وسيرشد الرب «كل ذهن متجدِّد» إلي معرفة

مشيئته الصالحه دائماً حسب طلب الرسول بولس «بتجديد أذهانكم، لتختبروا ما هي إرادة الله الصالحة المرضيَّة الكاملة» (رو ١٢ : ٢).

وتمنْي الرسول بولس «أن تمتلئوا من معرفة مشيئته» (كوا : ٩) : «وفاهمين ما هي مشيئة الله» (أف ٥ : ١٧) ودعاهم «للعمل حسب مشيئته» (عب ١٣ : ٩)

هذا وسيفتح المؤمن المتُغيرّ ذهنه ـ وقلبه ـ علي ما جاء في كتاب الله المقدس، **ليجد أمثلة من إرادة الله له، ومنها مثلاً:**

+ «أنه يريد أن جميع الناس يخلصون، والي معرفة الحق يُقبلون» (اتي ٢ : ٤).

+ «وهو لا يشاء أن يهلك أناس، بل أن يُقبل الجميع الي التوبة» (٢ بط ٣ : ٩).

+ «ينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله» (غل ١ : ٤).

+ «هذه إرادة الله قداستكم» (١تي ٤ : ٣).

+ ورغبة الفادي لأولاده : «أيها الآب، أريد أن هؤلاء الذين أعطيتني يكونون معي، حيث أكون أنا، لينظروا مجدي الذي أعطيتني» (يو ١٧ ٢٤).

+ «حينما أريد أؤدبهم» (هوشع ٦ :٦) أي يفهم الذهن المجدد أن الرب المحب يريد أن يستخدم التأديب ـ أو التجارب ـ كعلاج، عندما تفشل الوسائل اللينة.

+ «أريد أن تكونوا بلاهْم» (١ كو ٧ : ٣٢) وما أكثر الهموم التي تسبب الأمراض المختلفة.

+ «اشكروا في كل شئ، لأن هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من أجلكم» (ا تس ٥ : ١٧) فلنكن شاكرين وغير متذمرين.

+ «لا يعيش (المسيحي) أيضا الزمان الباقي (من عمره) في الجسد، لشهوات الناس، بل لإرادة الله» (١ بط ٤ : ٢).

وهكذا كلما تجدَّد الذهن كلما انجلت الرؤيا أمامه، وعرف مشيئة الله بالنسبة له، وأدرك كيف يسير، والي أين يمضي، في طريق غُربته الي أبديته.

+ + +

# الفصل الثاني

# «أنمـــــــوا» (٢ بط ٣:١٨)

**تمهيد:**

قلنا إن التغيير للأفضل (ذهنياً وروحياً) هو ضرورة لخلاص النفس، وراحة الجسد، وإذا كان «النمو» (growth) **أمر إلهي لكل مسيحي، فهو أيضاً ضرورة لكل كائن حي**، سواء كان إنساناً أو حيواناً أو نباتاً. وعدم نمو الكائن الحي هو علامة مضرضَضية، ويحتاج المتوقف عن النمو إلي معرفة أسبابه ويلزم سرعة علاجه حتي لا يُزمن، ويكون غير قابل للشفاء.

وكل كائن حي ينمو حسب القانون الطبيعي، الذي خلقه الله عليه، فالبذرة تنمو لتكون شجرة، والحيوان ينمو في الحجم إلي حد معين، والإنسان ينمو في الذهن والبدن، ويتحوَّل من مرحلة الطفولة إلي الشباب ثم الكهولة والشيخوخة، ثم يموت كأي حي آخر!!

وعندما يقف نمو الطفل «يُسرع الأهل إلي الطبيب، لمحاولة

معرفة السبب، ويتطلب علاجاً سريعاً وناجعاً، حتي لا يتقزّم في قامته، ويقف نموه عند حدٍ معين، وحتي لا يصير مُعّوقاً، ويقاسي أكثر، فوق آلامِ العالم العادية، من متاعب الإعاقة البدنية.

ومن المُلاحظ أن ثمة شخصيات كثيرة تتوقف عن النمو الروحي، كأنها موضوعة في قوالب جامدة، فلا تتزحزح عما رسب في قلبها من أفكار بالية، وتظل تتمسّك بعادات ضارة، وخُرافات غير مسيحية، وتقاليد إجتماعية غير روحية، ورثتّها من البيئة الفاسدة، التي نبتت فيها.

وهي تعوق نموها الروحي، وتُكبّلها بقيود الخطية، وأفكار عدو الخير وأعوانه الأشرار، وترفض النُصح والمشورة من الأبرار والحكماء وتقبل التعاليم الغريبة، وتهتم بنمو الجسد علي حساب الروح.

وبذلك تبدأ خياتها في الجفاف والذبول تدريجياً، حيث تنشغل النفس بطعام الجسد وشرابه الذي لا يروي، وتُهمل غذاء الروح. وكم من نفوس كثيرة قوية في أبدانها، ومريضة

في أرواحها، فتنحدر في روحانياتها ومعنوياتها ويعتريها السأم والملل، رغم وجود مصادر النمو الروحي المتوفرة مجانا في الكنيسة (مستشفي مرضي الخطية).

+ + +

## كيفية النمو الروحى:

هناك وسائل عديدة لنمو الروح في النعمة ونذكر منها ما يلي:

### (١) سرعة طلب التوبة والاستفادة من وسائط النعمة:

«التوبة» هي التي تسمح بعمل الروح القدس في النفس فيجددها (تي ٣ : ٥) ويُعيد لها نضارتها وشبابها الروحي، ويُذهب عنها نتائج الخطية الردّية.

ويري بعض المفسرين أن «التجديد» (renewal) **يعنى نمو الحياة الروحية بوسائط الخلاص** من صوم وصلاة وصدقة وتأمل وقراءات روحية، وترنيم وتسبيح وشكر دائم، والارشاد الروحي والاعتراف والتناول وحضور الإجتماعية

الروحية المنعشة للروح، وخدمة الرب ... الخ.

ويترك التائب الحياة المعثرة السابقة، ويكون كالشجرة التي تنمو وتثمر (مر ٤ : ٨) والتي مثلّها الرب يسوع بحبة الخردل الصغيرة التي تصير شجرة كبيرة (مت ١٣ : ٣١ ـ ٣٢). وبالمثل ينمو التائب في فعل الخير، وفي خدمة الله والناس، بعدما ذاق حلاوة الخلاص من الخطية القاتلة للنفس.

وكذلك ينمو التائب في الفضائل، الواحدة تلو الأخري، ويفرح بعشرة الله والشركة معه، ويسير بنعمة المسيح التي تُجدّد فيه العواطف السامية، والمحبة لجميع البشر، لأن تلك العواطف قد صارت ملكاً لرب المحبة. ويقول الرب يسوع : «اثبتوا فيَّ وأنا فيكم، الذي يثبت فيَّ وأنا فيه هذا يأتي بثمر كثير. وإن كان أحد لا يثبت فيَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف ويجمعونه ويطرحونه في النار (كوقود) فيحترق» (يو١٥ : ٤ ـ ٧).

وبعبارة أخري، فإن المؤمن الساكن فيه المسيح ينمو دائماً بعمل الله فيه، كما قال الرب : «غرستهم فأصلوا نمواً، وأثمروا

ثمراً (إر ١٢: ٣) «ليس الغارس شيئاً، ولا الساقي بل الله الذي ينمّي» (١ كو ٣: ٧)

فقد قيل في العهد القديم: «وأما الصبي صموئيل فتزايد نمواً (في النعمة) وصلاحاً لدي الرب والناس أيضاً»، وعلي نقيض سيرته، عاش إبني عالي الكاهن، اللذان غضب اللّه عليهما بشدة، وأهلكهّما فوراً، لنموّهما في حياة الدنس إلي أعلا درجة، ورفضهما التام لنصائح والدّهما الشيخ الوقور، وقال الرب: «إني أكرم الذين يكرمونني، والذين يحتقرونني يصغرون» (١ صم ٢: ٢٣ ـ ٣٤، ٣: ١٣).

ومن أروع الأمثلة العملية للبشرية ما سجلّه الوحي علي لسان القديس لوقا قوله عن الفادي «وكان الصبي ينمو ويتقّوي بالروح، ممتلئاً حكمة، وكانت نعمة اللّه عليه» (٢: ١٤)، كما قيل عن القديس يوحنا القديس المعمدان: «وأما الصبي (يوحنا) فكان ينمو ويتقوي بالروح، وكان في البراري (في جهاد روحي طويل) إلي يوم ظهوره (خدمته) لإسرائيل» (لو ١: ٨٠).

ويوصف المؤمن في المزامير هكذا : «الصدّيق (البار) كالنخلة يزهو، وكالأرز في لبنان ينمو» (مز ٩٢ : ١٢) وهما شجرتان ترتفعان الي عنان السماء ، علي مثال «البار» النامي في الروحانيات والسمائيات، لا الأرضيات.

ويمكن أن تنمو كلمة الرب في القلوب المتضعة (أع ٦ : ٧) التي تستجيب بسرعة لصوت الرب المحب (٢ بط ٢ : ١)، فتمتلئ بثمار الروح القدس من «المحبة والفرح والسلام وطول الأناة والصلاح واللّطف والإيمان والتعفف والوداعة» (غل ٥ : ٢٢ ـ ٢٣)، وغيرها من الفضائل، التي اقتناها القديسون، بعد نموهم في النعمة الغنية.

وفي الوقت الذي تمنّي فيه القديس بولس أن ينمو ويزداد إيمان شعبه في كورنثوس (٢ كو ١٠ : ١٢) وهي مدينة اللهو والإنشغال بالعالم، فقد امتدح الرسول نمو إيمان ـ ومحبة الله التي كانت ـ في قلب شعب كنيستّي تسالونيكي وأفسس. فقد كتب لشعبهما قائلاً : «ينبغي أن نشكر الله ـ كل حين ـ من جهتكم، لأن **إيمانكم ينمو كثيراً**، ومحبة كل واحد منكم

جميعاً بعضكم لبعض تزداد» (٢ تس ١ : ٣).

وقال أيضا : «صادقين في المحبة، ننمو **في كل شيئ** الي ذاك الذي هو الرأس (المسيح)، الذي منه كل الجسد مركباً معه ومقترناً (به) يحصل نمو الجسد لبنيانه في المحبة» (أف ١٥ : ١٦).

+ + +

## (٢) النمو فى دراسة الكتاب المقدس وطقوس الكنيسة وعقائدها :

من وسائط الخلاص الهامة ـ لكل الناس ـ دراسة وتأمُّل الكلمة الإلهية، والتفاسير الروحية التي للآباء، وسماع عظات الكنيسة، وحضور الإجتماعات الدورية (لدرس الكتاب وطقوس الكنيسة وعقائدها)، وفيها تنتعش النفس وتنمو روحيا وعلمياً، ويكشف الله لها ـ كل يوم ـ عن كنوز النعمة المخفيَّة في الأسفار الإلهية، وتُعرِّف الكلمة الإنسان : ماذا يريده الله له وما يطلبه منه ؟ وكذلك سماع رسالته إليه، من خلال دراسة أسفاره المقدسة، طبقاً لدعوة القديس بطرس الرسول، الذي

أمرنا قائلاً : **«إنموّا فى النعمة، وفى معرفة ربنا يسوع المسيح»** (٢ بط ٣ : ٨) ، وحتي لا يكون الجهل بكلمة الحياة سبباً أساسياً في ضلال النفس، كما أعلنه الوحي المقدس قائلاً : «هلك شعبي لعدم المعرفة» (هوشع ٤:٦)

وفي هذا المجال قال قداسة البابا شنودة الثالث، لكل إنسان : «ادخُل **فى تدريب التأمّل** (في كلمة الله) لأنه يُشغل ذهنك بشئ صالح، بدلاً من ترك الفكر ليسرح في أمور خاطئة (أفكار لا تمجّد الله) أو يسرح في أمور زائلة لا نفع منها» **(وتتعِب النفس بالطبع)**.

ثم يضيف قداسته بقوله : « وتأكدّ من أن ذهنك لن يكفّ عن التأمل (في الروحيات) ويتوقف تأمله (الجيد من غير الجيد) علي نوع المادة المقدمة اليه».

وقد حفظ الآباء القديسون أجزاء كثيرة جداً من أسفار الكتاب (ولا سيما المزامير)، ورددوُّها في كل مكان، فحفظتهم من طياشة الفكر، ومن محاربات الشيطان.

+ + +

### (٣) النمو في طاعة الله وحفظ وصاياه:

ليس بكثرة القراءات والإجتماعات، ولكن بالتنفيذ الفعلى للوصايا الإلهية فقد سجَّل سفر التثنية الكلمات التي أرسلها الرب علي فم موسي النبي، قبل رحيله من الدنيا، في عظة طويلة جداً، نقتبس منها ما يلي:-

«إن سمعْت سمعاً (أطعْت الله تماماً) تأتي عليك جميع هذه البركات (المادية التالية) «مباركة ثمرة بطنك (نسلك يكون صالحاً) ومباركة تكون ثمرة أرضك، وثمرة بهائمك... ويأمر لك الرب بالبركة في كل ما تمتد إليه يدك» (من عمل ومال، وغير ذلك).

وعلي النقيض من ذلك، يُعدِّد الكتاب وسائل كثيرة للعقاب البدني والنفسي، للخاطيء العاصي، وأوضح الرب لكل إنسان: «أن هذه الوصية، التي أنا زوصيك بها اليوم، ليست عسرة عليك (صعبة التنفيذ، بل الخطية هي التي تُتعب)، ولا بعيدة عنك، بل قريبه منك (فضعها) في فمك، وفي قلبك لتعمل بها».

ثم شدّد الرب علي شعبه القديم، وقال لكل واحد : «انظر!! قد جعلْت اليوم قدامك : الحياة والخير، والموت والشر. وبما إني أوصيتك اليوم ـ أن تحّب الرب إلهك، وتسلك في طرقه، وتحفظ وصاياه وفرائضه وأحكامه، **لكى تحيا وتنمو** (في الروحانية). فإن انصرف قلبك، ولم تسمع (الصوت الله) بل غويت (أطعت صوت الشيطان) فإني أنبئكم ـ اليوم ـ أنه لا محالة تهلكون» !!

وبذلك كشف لهم الرب عن «حرية» الإنسان في عمل الخير أو الشر، وفي طاعة الله، أو حتي في عدم طاعته، حسب رغبته، ومع ذلك فقد نصح الرب كل واحد من الشعب مرة أخري وقال :

« قد جعلْت قدامك : الحياة والموت، والبركة واللعنة. فاختر الحياة (مع الله) لكي تحيا (في سلام) أنت ونسلك، إذ تُحبُّ اللّه وتسمع لصوته (تطيعه)، وتلتصق به (في بيته، وفي كل مكان) لأنه هو حياتك، والذي يطيل عُمرك» (تث ٢٨ ـ ٣٠). فمن صادق الرب في دنياه، يعيش معه في أُخراه، مع كل المؤمنين الطائعين لوصاياه.

## (٤) النمو فى الجهاد الروحى من أجل الملكوت :

رجعْت إلي مذكراتي القديمة، فوجدّت مسجلاً بها (تحت يوم ١/١٢/١٩٦٤) ملخص عظةٍ لقداسة البابا شنودة الثالث ، وجاء فيها ما يلي :

«الحياة الروحية عبارة عن سلمٍّ عالٍ، يصعد علي درجاته كل مؤمن. ومن يقول : «أنا وصلت»، يكون قد وصل الي الكبرياء (كما حدث للبعض) لأنه لم يصل بعد أي واحد من البشر (الي مستوي قامة المسيح). حتي أن القديس بولس يقول عن نفسه : «أنسي ماوراء (الماضي البغيض) وامتدُّ الي ما هو قدامٌ» (النمو في النعمة).

ثم يتساءل قداسته قائلاً لكل مسيحي : «فهل كل يوم تصعد درجة؟! (في سُلّم الفضائل والجهاد الروحي، للنمو في النعمة). قس نفسك علي عبارة القديس بولس : «أمتدُّ الي قدام»، وقوله أيضا : «ليس إني قد نلّتُ أو صّرتُ كاملاً، ولكني أسعي لعلّي أدرك» (فيلبي ٣ : ١٢).

وقال القديس العظيم مار إفرام السُّرياني : «الي أين

وصلت؟! هل وصلت (في جهادك) إلي مرتبة إيليا النبي، وتصنع مثله؟! ... الخ، انظر الي قُدام. إنك لم تصعد بعد علي سُلَّم الفضائل».

ويقول القديس التائب موسي الأسود: «كن مداوماً لذكر القديسين (بقراءة سيرهم ومعرفة أنواع وطرق جهادهم) كيما تأكلك غيرة أعمالهم» (تجاهد مثلهم بحماس). وفي سيرته الذاتية نري كيف نما في النعمة وفي محبة الله والناس، مستعيناً بوسائط الخلاص، وإرشادات الآباء المختبرين.

وتسجِّل لنا كتب الكنيسة المصرية ـ وتاريخها ـ مدي ما وصل اليه جهاد الشهداء والمعترفين، والسواح والرهبان، في البَرية المصرية، وقد عاشوا طول حياتهم هناك، في نُسكٍ وزهدٍ، وأصوام وأسهار ودموع، وتأمُّل وعبادة مستمرة ..... الخ.

ومن ثم قال الوحي المقدس لكل نفس: «اذكروا مرشديكم الذين كلموكم بكلمة الله (أو الذين قرأتم أقوالهم وعرفتم سير حياتهم). انظروا الي نهاية سيرتهم (في الجهاد الروحي)، وتمثلوا بإيمانهم» (عب ١٣:٧) فهل نفعل ؟!

## (٥) النمو في محبة الله وشكره دائماً علي عطاياه

كلما نمت محبة الرب في قلب المؤمن كلما زاد حبه ورحمته الناس، وسعى إلي خدمتهم - روحياً ومادياً - وكلما زاد أيضاً من تكريس وقته لعبادة الله وتسبيحه، وشكره علي إحساناته (مز ١٠٢: ١ - ٥)، حتي يأتي الوقت الذي يزهد فيه العبد عما عداه في الدنيا من مشاغل ومشاكل مادية، فيترك العالم ويتفرغ قلبه لعبادة الله، في حياة «التكريس» الكامل، سواء في الرهبنة، أو في الكهنوت.

وهكذا يزداد شكر المؤمن الرب من كل القلب، كلما نما في محبته وأحس برحمته، وشعر ببركاته الروحية والمادية الكثيرة) فيلهج لسانه بحمده ليل نهار (مز ١:٣). مصداقاً لقول الرسول المُختبر: «شاكرين كل حين علي كل شيء» (أف ٥: ٢٠). فإلي أي مدي وصلْت في حبك لربك، وفي شكرك ومديحك وتمجيدك لخالقك وفاديك، الذي يُطيل أناته عليك ويفيض عليك من خيراته علي الدوام، ويملأ قلبك بالسلام!!

## (٦) النمو فى عمل الخير :

هو الشكر العملي، وجواب القلب عن إحسانات الرب. ويري القديسيون أن اليوم الذي يمر علي المرء ـ بدون عمل صالح ـ لا يُحسب من عمره. وقد سجل تاريخ الكنيسة القبطية أمثلة لمحسنين مشهورين، نموا في فضيلة العطاء بسخاء، ومساعدة المحتاجين والمساكين، بدون قيود ولا حدود، مثل المعلم «إبراهيم الجوهري، الذي أعطي شحاذاً صدقةً إحدي عشرة مرة في يوم واحد، وأعلن له إنها من أموال الرب، والقديس العظيم« الأنبا إبرام» أسقف الفيوم والجيزة، الذي كان يتصدّق : بكل ما لديه، مهما كان في احتياج إليه، والآباء القديسون الذي تصدقّوا بكل شئ، مهما كان قليلاً ولازماً لهم.

وقد قيل عن الملك الإنجليزي «بروتس» Protus أنه في حبه للمساكين كان يعول يومياً ألف فقير، وكان يدعوهم إخوته، وأنهم من أعز رجال حاشيته. وكان يأخذهم معه في كل مكان، مفتخراً بهم (في اتضاع عملي)، ومُردّداً عبارة : «إني سأفتح بهذا الجيش(المساكين) ملكوت السماوات»!!

وقد طلب منا الرب «البكور والعشور والنذور» وبدون حد أقصي للعطاء، فإلي أي مدي وصّلت في عطائك المادي والمعنوي ؟ وإعطاء الوقت لخدمة أولاد الله ؟!

ومن المعروف أن ما يزرعه الانسان - في مزرعة الدنيا - من خير ورحمة بالغير، حتماً يحصده أضعافاً مضاعفة هنا (عربون السعادة) وفي الأبديه أيضا» (لو ١٨ : ٣٠).

وعلي النقيض من ذلك، كل من يُقلّل من خيره لغيره، سيّعطي القليل، مصداقاً لقول الرسول : «من يزرع (يعطي) بالشح (بالقليل) بالشح أيضاً يحصد (في الأبدية) ومن يزرع بالبركات (يعطي بسخاء) فبالبركات أيضا يحصد، والله الذي يقدمّ بذاراً للزارع، وخبزاً للآكل، سيقدم (لكم أيضاً) ويكثر بذاركم، وينّمي غلأّت بركم» (٢ كو ٩ : ٦ - ١٠).

+ + +

## عناصر النمو الروحى :

الأرض الطيبة - المثمرة - هي قلب المؤمن النامي باستمرار، بما يلي :

(١) **بالغذاء الجيد** : أي بغذاء الروح (كلمة الله، الترنيم والصلاة، التناول من السر الأقدس). وقد حزن القديس غريغوريوس العجايبي لأن شعبه كان يتناول ٣ مرات في الأسبوع فقط ؟!

(٢) **بالثبات فى المسيح** : إن لم تثبت الشجرة في الأرض تسقِّطها الرياح بسهولة، والمؤمن الذي لا يثبُت في المسيح، يسقط بسهولة بسبب تجارب عدو الخير.

(٣) **بوجود هواء نقى** : (جو ملائم للنمو) بالرياضات الروحية والجري نحو بيت الله، والصلاة (خلق جو روحي في البيت تشتم فيه رائحة السماء).

(٤) **بتجنُّب معطلات النمو** : مثل أمراض الكسل والتهاون، والإهمال في خلاص النفس، وفقدان مصادر «الري»، بالإنفصال عن مصدر الحياة أو الارتواء والشبع الدائم (يسوع).

(٥) **مقاومة الآفات والحشائش الضارة:**

التي تأكل غذاء النبات فيذبل ويموت (ضرورة ترك

الشهوات والعادات الضارة التي تميت الجسد والروح).

**(٦) الاستفادة من الإرشاد الزراعى :**

أي الإعتراف المنتظم والسليم، لدي مرشد روحي حكيم.

**(٧) بالحراسة والرعاية المستمرة :** يتسرَّب العدو (في ساعة غفلة) من خلال المنافذ (الحواس) الي الحقل (القلب)، ويلقي بالزوان وسط الحنطة (بالأفكار الشريرة في الذهن)ويسرق اللص (الشيطان) كل الثمار التي تعب فيها الزارع الغافل عن الحراسة الجيدة .

**(٨) بالتسميد الجّيد :** ونعني به دراسة كلمة الله التي تُصلح داخل القلب والذهن.

## اتجاهات النمو الروحى :

قال القديس بولس، لشعب كنيسة أفسس: «وأنتم متأصلُّون ومتأسسون في المحبة، تستطيعون أن تدركوا ـ مع جميع القديسين ـ ما هو العرض والطول والعمق والعُلو ؟! (أبعاد صليب الفادي) وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة (بفدائه

لكم)، لكي تمتلئوا الي كل ملء الله» (أف ٣ : ١٨ ـ ١٩) أي الإجتهاد في حمل الصليب،مثل الفادي العجيب.

**ويذكر المفسرون أبعاد النمو الروحى كما يلى :**

(١) **لأعلى** : «اهتموا بما فوق لا بما علي الأرض» (كو ٣ : ١)

(٢) **لأسفل**: النمو في الإتضاع عملياً (أم النور كمثال جميل).

(٣) **للداخل** : التعمُّق في حياة القداسة والبرّ، والعبادة الداخلية. وقد أطاع الرسل الرب بالدخول الي العُمق، فنالوا البركة (لو ٥ : ٤).

(٤) **للخارج** : الفلاح لا يزرع لنفسه فقط، أي عمل الخير للجميع، سواء إلي الأهل أو الاقارب أو الأصدقاء أو الزُملاء أو الغُرباء أو الجيران، من المؤمنين وغير المؤمنين ـ من الجنسين ـ ليشهد المؤمن للمسيح في كل مجال، بما يعمله من خير.

**أضف الى ذلك كله النمو الكمى والكيفى** : فالخادم

ينمو روحياً باستمرار وتنمو خدمته ورعيته، في العدد وفي الروح أيضاً، كما قال رب المجد «لي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بها أيضاً» (يو ١٠:٦٦).

## خاتمة هامة :

ويختم أبونا المبارك «القمص صليب سوريال» كلمته ـ في تلك المناسبة ـ بالدعوة الي ضرورة النمو في النعمة، لنصل الي «ملء قامة المسيح» (أف ٤ : ١٣)، وعدم التوقّف عند مرحلة معينة من الجهاد الروحي، بل ننتقل باستمرار من مرحله الي أخري. وما علينا سوي أن نسعي، وسنصل بمعونة الله الي نمو روحي مناسب، في وقت مناسب.

وعلينا أيضا ان نراجع حسابات العام السابق، وأن نطلب تغييراً جذرياً، وتكون لنا النيّة ـ والإرادة ـ لذلك، ليكون تغييراً في القلوب والعقول وفي الكلمات والسلوك، لا تغييراً في المظهر فقط.

وأن يشمل النمو كل ما حولنا من الآخرين ـ القريبين والبعيدين ـ ونثق أن الرب سيساعدنا، لأنه يمد يده لكل

مريض بالخطية، ليُقيمه ويسنده طالما مد الانسان يده للرب. فهو يشدد كل الأرجل المخلّعة والأيدي المترخية (عب١٢ :١٢)

ولندرك أنه إذا كان الأب الجسدي يهتم بالنمو الجسدي لأبنائه، فالرب له هذه الصفة، بالنسبة لأولاده، وهو يفرح جداً ـ مع ملائكته وقديسيه ـ عندما يجد كل واحد ينمو في النعمة والقامة الروحية، ويحزن في قلبه من كل تغيُّر للأردأ، لأي واحد منهم.

وليتنا نقف أمام هيكل الرب ـ ليلة رأس السنة ـ وفي كل وقت، ونصرخ الي الرب ـ من كل القلب ـ ليساعدنا علي التغيير والنمو الحقيقي، في العام الجديد، وليكون عاماً خالياً من السلبيات، ومليئاً بالإيجابيات، وأن يحفظنا الله من السقطات، والعثرات السابقة، ويُبعد عنا معطلات النمو الروحي، السابق الإشارة اليها.

ومن الأفضل أن نختم هذه السطور، بنصيحة الوحي المقدس ـ علي لسان القديس بطرس ـ القائل لكل نفس : «فأنتم أيها الأحباء، إذ قد سبقتم فعرفتم (جمال الحياة مع الله) احترسوا

من أن تنقادوا بضلال الأردياء، فتسقطوا من ثباتكم (في الإيمان بالمسيح) ولكن انموا في النعمة، وفي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، له المجد الآن، والي الأبد، آمين».
(٢ بط ٣ : ١٧ ـ ١٨)

+ + +

**تم بحمد الله**

# الفهـرس

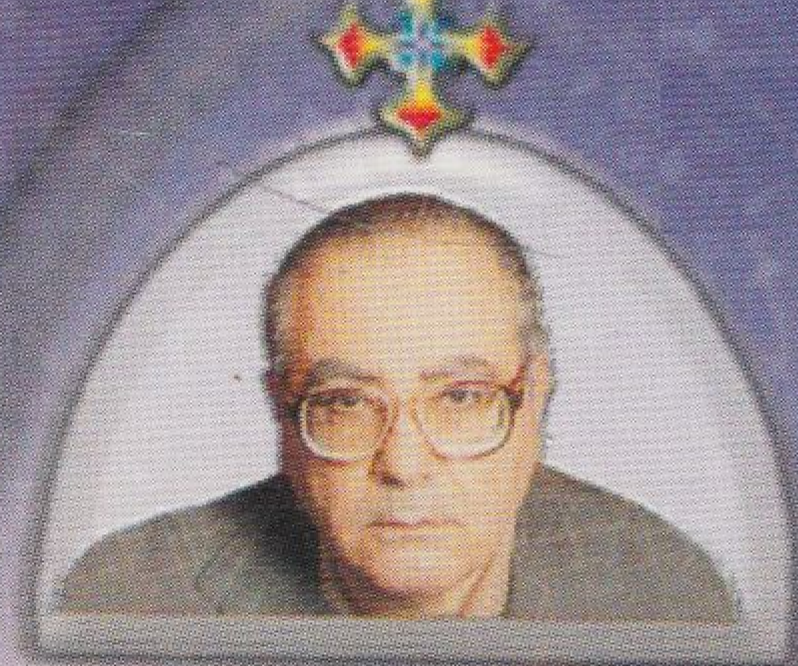
الصفحة

الثمن ۹۰ قرشاً



## هذا الكتاب

يتضمن دراسة للمفهوم الأرثوذكسى للتجديد والتبرير وتقديس النفس وأهمية وضرورة الحياة الجديدة فى المسيح وكيفية التجديد وضرورته وبركاته. كما يتضمن كلمات روحية هامة لكل نفس عن كيفية التغيير السليم والدعوة للنمو الروحى وكيفيته وعناصره واتجاهاته، بما يفيد كل الناس فى طريق الخلاص



### الموسوعة القبطية الشاملة

٢

١- قصة العذراء حالة الحديد
٢- أم النور والمريمات الآخريات
٣- عذارى حكيمات
٤- المطوبون من الله
٥- طوبى للرحماء
٦- أخنوخ - ملكى صادق أيوب - بلعام
٧- لماذا ظُلم فادى الخطا
ولم يفتح فاه
٨- ٣٥ سؤال وجواب
(عن احداث عيدى الميلاد والغطاس
٩- الشفاعة
١٠- المفهوم الارثوذكسى للتجديد
١١- إنجيل برنابا م
منظور مسيحى
١٢- كل الأشياء تعمل
معاً للخير




مكتبة المحبة ٣٠ شارع شبرا - القاهرة - ت : ٥٧٨٢٩٣٢ - ٥٧٥٩٢٤٤ فاكس : ٧٧٧٤٤٨